الدكتور شوقي أبو خليل

هذا هو الإسلام

تحريرُ المرأة مِمَّنْ؟
وفيمَ حُرِّيتُها؟

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

شوقي أبو خليل

- من مواليد ١٩٤١
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي
- تقلب في الوظائف التربوية بين التدريس والتوجيه والمناهج
- محاضر في كلية الشريعة بجامعة دمشق
- أستاذ السيرة والحضارة العربية الإسلامية في معهد جمعية الفتح الإسلامي (حالياً)
- مدير النشر في دار الفكر - دمشق (حالياً)

له أكثر من ستين كتاباً، منها:

- سلسلة أطالس إسلامية (أطلس القرآن، أطلس الحديث النبوي، أطلس دول العالم الإسلامي، أطلس السيرة النبوية، أطلس التاريخ العربي الإسلامي)
- غزوات الرسول الأعظم ﷺ ١ - ١٠
- المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام ١-٢٠

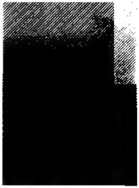

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريرُ المرأة ممَّن؟
وفيمَ حرِّيتُها؟

تحرير المرأة ممن؟ وفيم حريتها؟/ شوقي أبو خليل. -
دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨ . - ٨٠ص؛ ١٧سم.
١- ٣٠٥,٤ خ ل ي ت ٢- ٢١٨,٨١ خ ل ي ت
٣- العنوان ٤- أبو خليل
مكتبة الأسد
ع- ١/١/١٩٩٨

هذا هو الإسلام

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

٢١٩,١
ح ش ن

تحريرُ المرأة مِمَّن ؟ وفيمَ حُرِّيَّتُها ؟

الدكتور شوقي أبو خليل

دارُ الفِكر
دمشق - سورية

دارُ الفِكر المعَاصِر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي: ١١٦٤,٠١٣

الرقم الدولي: ISBN:1-57547-451-4

الرقم الموضوعي: ٢١٠

الموضوع: دراسات إسلامية

العنوان: تحرير المرأة متى؟ وفيم حريتها

تأليف: الدكتور شوقي أبو خليل

التنفيذ الطباعي: دار الفكر – دمشق

عدد الصفحات: ٨٠ صفحة

قياس الصفحة: ١٢ × ١٧سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية

فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦

http://www.fikr.com

e-mail: info@fikr.com

حوار DIALOG

٢٠٠٥ عالم بلا عنف

NON-VIOLENCE WORLD

الإعادة الثالثة

١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

ط١/ ١٩٩٨م

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
تمهيد	١٩
العنف والمرأة	٢٠
احتفالات الأندلس	٢٠
زيارة البابا لأمريكا الجنوبية	٢٤
حصاد حضارات	٢٥
تحرير المرأة ممن ؟ وفيم حُرِّيتها ؟	٢٩
تقرير القاضية السويدية	٢٩
المرأة في اليهودية	٣٨
المرأة في المسيحية	٣٩
المرأة في الإسلام	٤٠
إحصائيات عالمية	٥٢

الموضوع	الصفحة
ملحق	٥٧
١ ـ القوامة	٥٩
٢ ـ الميراث	٦١
٣ ـ الشهادة	٦٣
٤ ـ النُّشوز	٦٤
٥ ـ الحجاب	٦٧
٦ ـ عمل المرأة	٦٩
٧ ـ التَّعَدُّد	٧١
٨ ـ كيف نعامل الأهل	٧٢
٩ ـ المُجَادِلة	٧٥
١٠ ـ يهمنا المضمون	٧٨

مقدّمة

بسم الله ، والصَّـلاة والسَّـلام على رسـول الله ، وآلـــه وأصحابه ، وبعد ..

(تحرير المرأةِ مِمَّن ؟ وفِيمَ حُرِّيَّتهـا ؟) محـاضرة أُلقيت بـدعوة من إحـدى الجـامعـات في دولـة عربيَّـة شقيقـة بتـاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٣ م ، ثمَّ أودعتُ نَصَّ المحاضرة في سجل المحفوظـات ، ولم يَدُر في خاطري نشرها آنذاك لسببَيْن اثنَيْن :

السَّببُ الأوّل : أنَّ بعض النُّصـوص الَّتي أوردتهـــا في المحـاضرة ، وردت ســابقــاً في بعض كتبي ، فخشيتُ أن أُتهم بالتَّكرار ، وهي سِمَةُ مَنْ ينضب فكرُه ، ويجفّ قلمُه ، فـالصَّمت في مثل هذه الحال أَوْلى .

والسَّبب الثَّاني : صُدورُ عَـدَدٍ من الكتب الجيِّـدة ـ بـل

الممتازة ـ عن المرأة في هذه الآونة ، فَلِمَ نَشْرُ هذه المحاضرة الموجزة ؟ وما موقعها بين هذه الكتب ؟ وما مردودها بينها ؟

لهذين السَّبَبَيْن بقيَتْ هذه المحاضرة في ثنايا المحفوظات ، ولسببَيْن اثنين أيضاً أخرجتُ هذه المحاضرة إلى النَّشر :

السَّبب الأوَّل : كلمة في احتفال عرس لبنت أحد الأصدقاء ، ألقاها أحدهم ـ وهو يحمل رتبة علميَّة ـ بعد أن وقف أمام الحضور المدعوِّين على المنصَّة المعدَّة للخطباء ، وأخرج سواكه واستاك أمام النَّاس ، وبحركة غير مقبولة اجتماعيّاً مصَّ سواكه عدَّة مرات وأعاده إلى جيبه ، وبقي منه جزؤه الأعلى ظاهراً للعيان ، مِمَّا جعل حاجزاً بين الخطيب المتكلِّم (صاحب السِّواك) وبين معظم المدعوِّين الجالسين ، فمن اللَّباقة أن تتمَّ هذه العمليَّة في مكان جلوسه حيث كان ، بعد تغطية فمه بيده أو بمنديل .

وما أن وقف الخطيب قُبَالة المذياع حتَّى صرخ بلا توقُّع من الحاضرين : أين العريس ؟ وجاء العريس الَّذي كان مع

عمِّه أبي عروسه في استقبال المدعوِّين ، وقال للأُستاذ الخطيب : نعم يا سيدنا ؟! فأمره بالجلوس أمامه مباشرة ، ثمَّ بدأ بكلمته الَّتي أورد فيها ثلاثَ نقاط :

الأُولى : بعد انتهاء الاحتفال ، وأخذك لعروسك ، ضع يدك على مقدِّمة رأسها ـ قَبْل أي شيء ـ واستعذ من شرّها ، تطبيقاً للحديث الشَّريف : « إذا أفادَ أحدُكُم امرأةً أو خادماً أو دابَّةً فليأْخذ بناصيتها وليقل : اللَّهمَّ ! إنِّي أسألُكَ من خيرِها وخيرِ ما جُبِلَت عليه ، وأعوذُ بكَ مِنْ شَرِّها وشَرِّ ما جُبِلَتْ عليه » .

والثَّانية : واعلم أيُّها العريس أنَّك تزوَّجت امرأة ، ورسول الله ﷺ يقول عن النِّساء في الحديث الصَّحيح : « ناقصات عقل ودين » .

فاعرف مع من تتعامل .

والثَّالثة : وما دام قد صار عندك زوجة اعتباراً من

اليوم ، احفظ ـ لتطبِّق ـ حديث رسول الله ﷺ : شاوروهنَّ وخالفوهنَّ .

كان يجلس إلى يساري إنسان طيِّب عالم في اختصاصه ، فنظر إليَّ مستغرباً مستنكراً ، وكأنَّه يقول : ما هذا ؟ أهذا هو الإسلام ؟ وكان رفيق العمر الأُستاذ هاني المبارك إلى يميني ، وأدرك ـ كما أدركتُ ـ استياء هذا الأُستاذ الجامعي الذي يجلس معنا ، فقلنا له : يا أخي ، إنَّنا لا نوافقه على طرحه ، ولا نؤيِّده بما قال ، لأنَّه حفظ نصّاً ، ولكنَّه لم يستطع فلسفته كما أُريدَ منه ، فقلب المعنى رأساً على عقب ، خصوصاً النُّقطة الثَّالثة ، الَّتي لا صحَّة لها مطلقاً ، فشاوروهنَّ وخالفوهنَّ ليس بحديث شريف أصلاً ، ولنا جلسة قريبة نوضِّح فيها ما المراد بالدُّعاء قبل أيِّ شيء ، فهي لها الحقُّ بالمثل ، فالدُّعاء مقبول من الطَّرَفَيْن بالتَّساوي والعدل ، أنْ يكتب الله لهما الخير ويعيذهما من السُّوء معاً ، في أُسرة تسودها المودَّة والرَّحمة .

أمَّا حديث « ناقصات عقل ودين » ، فحديث شريف

صحيح ، قاله ﷺ في يوم عيد ، أي في مناسبةٍ بهيجة ، ونصُّه :

« يا معشرَ النِّساء ، ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجلِ الحازمِ مِنْ إحداكُنَّ » .

فلا يعقل من رسول الله ﷺ صاحبِ الْخُلُقِ العظيم أن يُنقصَ من شأنِ النِّساء ، أو يحطَّ من كرامتهنَّ في مناسبة بهيجة ، فليست صيغةُ الحديث صيغةَ تقرير ، ولا قاعدةً عامَّةً أو حكماً عامّاً ، إنَّما صيغةٌ تعجُّبٍ مِنْ التَّناقض القائم في ظاهرةِ النِّساء الأنصاريَّات ، اللَّواتي فيهنَّ رقَّةٌ ونعومة ، وعلى الرّغم من ذلكَ كلمتهم هي العليا عند الرجال ذوي الحزم ، كما هو مُبَيَّن في ثنايا المحاضرة هذه بالتَّفصيل .

والسَّبب الثَّاني : طلب هذا الأخ الكريم ، نشر المحاضرة بعد أن أعلمته بها ، وأنّي أوضحت مكانة المرأة في الإسلام باختصار يتناسب مع زمن محاضرة ، فوعدته بالنَّشر .

ومن العجيب أن أحد الأساتذة الكرام ، ذكر حديث

ناقصات عقل ودين وشرحه في كلمة موفَّقة في حفل عرس أيضاً ، فأجاد ، وقدَّمه كما أُريدَ منه ، فنال ثناء الحضور ، وإعجابهم ، إن حكَّمت المرأةُ عاطفتها في مواقف ـ وهذا فطرة فيها ـ فالعقل هنا مغلوب لا غالب ، وهي في أيام معدودات معفاة من واجباتها الدِّينيَّة ، كالصَّلاة مثلاً ، ولكنَّها مثابة على ذلك ؛ لأنَّها حينما صلَّت صلَّت بأمر الله ، وحينما سمعت النِّداء ولم تلبِّ في أيَّام محدَّدة ، لم تلبِّ بأمر الله ، فهي مثابة أيضاً ، وهذا النَّقص لا يعني بُعدها عن الله وعن دينها .

وبعد موازنة بين الخطيبَيْن سريعة ، تساءلت :

متى سينتصر الجدُّ النَّافع ، وينهزم الهزل ؟ فالَّذي يقف أمام مئات المدعوِّين مسؤول أمام الله عن هذه الدَّقائق الَّتي تُنْتَزَع من وقت الحضور ، والَّتي يتحدَّث خلالها عن أُمور ، إما أن تنفرِّهم من الإسلام وتعاليمه ، وإمَّا أن تقرِّبهم منه ومن تعاليمه ، لجودة ما يطرح بمنطق وتحليل سليمَيْن .

فالكلمة خطرة ، بل سمٌّ زعَاف في غير مكانها ، وهي شؤم

على عقول النَّاس وأفكارهم إن لم تكن مدروسة هادفة ، تُطرح بمنطق وأُسلوب علميٍّ محبَّب ، خصوصاً بعد تراجع ملموس بانتشار الكتاب ، الَّذي كان انتشاره في يوم من الأيَّام عاملاً رئيساً في سيادة حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة ، ومِنْ رحلة الكتاب العربي إلى الغرب عبر الأندلس وجنوبي إيطاليـة .. كانت بدايات عصر النَّهضة الأُوربيَّة باعتراف الأُوربيِّين أنفسهم .

لقد بلغ الاهتمام بالكتاب أن يقف الحاجُّ في عرفات ويتنقَّل هنا وهناك بشغف وحُرْقة للسُّؤال عن كتاب .

والنَّصيحة كان يتبعها الشُّكر والامتنان ، فإذا بها اليوم ـ مع صدق وإخلاص النَّاصح ـ تثير الغضب ، وكأَنَّ الخطباء ، أمثال خطيبنا صاحب السِّواك ، يريد وأمثاله كلماتٍ من التَّلطُّف والمديح ، وهذا ما قدَّمه له من كان قريباً منه بعد انتهائه من كلمته .

إنَّ الصِّدق من أثمن ما يتَّصف به الإنسان ويتحلَّى .

ولن يتغيَّر ، فمن شبَّ على شيء شابَ عليه ، وأُضيف لمعلوماتكم عنه ، أنَّه في خطبة له منذ أيَّام ، قال للعريس خاصَّة ـ بملء فيهِ ـ وللمدعوِّين ولأبي العروس بشكل عام : أَفْهِمْ عروسَكَ منذ السَّاعة أنَّه لك الحقُّ بالزَّواج بثانية وثالثة ورابعة ، فقَلب الفرح إلى تَرَح .

لكلِّ مقام مقال ، ادعُ اللهَ لهما بالتَّوفيق والسَّعادة والتَّفاهم الكامل ، عندها لِمَ الثَّانية أوِ الثَّالثة .. وكأنَّه ـ بلا توفيق ـ يُحَتِّم وقوع الخلاف وسوء العِشْرَةِ والتَّنافر ..

وأنا بعد هذه المقدِّمة لا أدَّعي أنِّي قدَّمت في هذه المحاضرة كلَّ شيء عن المرأة ، إنَّما هي جوانب شغلت زمن المحاضرة ، نصوصها موثَّقة ، فالنِّساء ـ في الإسلام ـ شقائق الرِّجال ، وامتزنَ عنهم بأُمور أوَّلها وأهمُّها كثرة وصايا رسول الله ﷺ بهنَّ ، والوصيَّة بهنَّ دليل قاطع على مكانتهنَّ في الإسلام ونفاستهنَّ ، وقيمتهنَّ السَّامقة عند نبي الإسلام ﷺ .

وكم كان شعوري طيِّباً سعيداً حينما سألتني فتاة عاديَّة ـ غير

محجَّبة ـ: ما حقوق المرأة في الإسلام ؟ فقلت لها : أحسنتِ السُّؤال ، كثيرون هم الرِّجال الَّذين يتكلَّمون عن حقوق الرَّجل ، ويتجاهلون حقوق المرأة ، وجوابي عن سؤالك : لا حقوق للمرأة ، كما أنَّه لا حقوق للرَّجل ، وصمتُّ قليلاً ، ثمَّ قلت : الحقوق لأُسرة شكَّلاها بقرانها ، لتربِّي جيل المستقبل ، جيلاً يشكِّل جسد طائر جميل غِرِّيد ، والأب والأُمُّ جناحاه ، ولن يحلِّق هذا الطَّائر عالياً ، وبتربية سليمة سويَّة ، إلاَّ بجناحَيْن متساويَيْن سليمَيْن .

هذا حقُّك ، وهذا حقِّي ، هذا واجبك ، وهذا واجبي إذا اختلفنا وتباعدنا ، أمَّا ما دمنا في بيتٍ يسوده الودُّ والحبُّ والتَّفاهم ، فلا تقاسم للحقوق وللواجبات ، جناحان متساويان يحلِّقان بأُسرة سعيدة ، فرأيت هذه الفتاة تصفِّق مع الحضور .

وأنا لا أدَّعي أيضاً أنَّني قدَّمت رأي الإسلام كاملاً ، لقد قدَّمت رأْيي كما فهمتُه من الإسلام ، من خلال دراستي له ، ولكن أرجو من الله أن يكون فهمي قريباً ـ إلى حدٍّ مقبول ـ من الإسلام وأهدافه وحقائقه ومراميه .

والنَّقد البنَّاء سياج متين دون مهاوي التَّردُّد وقنوات العثار والزَّلل .

والحوار مع الاعتراف بالآخر ولو خالفنا الرَّأي ، خير من اصطناع الملق والزُّلفى بعد كلِّ خطبة ، فصمُّ الأُذنَيْن عن النَّقد البنَّاء المخلص ، في أمور صارت من البديهات ، والاكتفاء بالمجاملات وكلمات الإطراء ، تجعلنا نسير في عكس الاتِّجاه السَّليم .

إنَّ وقع الحديث (الخطبة) في الحفلات عند السَّامعين وأثره في نفوسهم لا أقول إنَّهما أمران ضروريَّان ، بل إنَّهما الهدف ، فليتنا نتنبَّه إلى الكلمة الطَّيِّبة البنَّاءة المختصرة ، لذلك حمَّلنا ـ في حينه ـ أبا الفتاة العروس عتاباً يحمله بلطف إلى الخطيب صاحب السِّواك ، لعلَّه يعدِّل من لهجته ، ويتروَّى في إصدار الأحكام ، ويقدِّم ما هو بنَّاء للنَّاس يقرِّبهم إلى الإسلام الحقِّ ويجذبهم إليه بأُسلوب طرحه .. وكم كان الأسى عظيماً حينما قال أبو الفتاة العروس بعد أُسبوعَيْن أو ثلاثة : هذا الرَّجل الخطيب هكذا هو ، وسيبقى بهذا الأُسلوب ، وبهذه الطَّريقة .

فإلى (تحرير المرأة مِمَّن ؟ وفِيمَ حرِّيَّتها ؟)

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً .

الدكتور شوقي أبو خليل

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ، ويَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ، [طه : ٢٠/٢٥ـ٢٨] .

بسم اللهِ القائلِ : ﴿ ٱدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُم وأَزْواجُكُم تُحْبَرونَ ﴾ ، [الزُّخرف : ٤٣/٧٠] ، أيُّها الإخوة :

وصلتني رسالةٌ مِن طالبٍ نجيبٍ ، يقيمُ حالياً في العاصمةِ البريطانيَّة ، يطلبُ منِّي فيها عدداً من الكتبِ تتناولُ موضوعَيْنِ اثنَيْنِ ، وشرحَ بإسهابٍ أسبابَ طلبِهِ هذا ، ومِمَّا قالَهُ : إنَّ ما يوجَّهُ إلى الإسلامِ والمسلمينَ في الصَّحافَةِ ، وفي الحواراتِ عامَّةً ، يتركَّزُ عبْرَ قناتَيْنِ اثْنَتَيْن على الغالِبِ :

القناةُ الأُولى : العنفُ ، الإرهابُ ، وبالتَّالي مصادرةُ رأيِ الآخرينَ ، وهذا يوصِلُنا إلى انتشارِ الإسلام بالسَّيْفِ ، والدِّماءُ رفيقَهُ الدَّائمُ .

والقناةُ الثانيـةُ : المرأةُ المقهورَةُ ، الَّتي ضـاعَتْ حقوقُهـا ، والَّتي ضاعَتْ إنسانيَّتُها مِنْ خلالِ نصوصٍ قديمةٍ ، إنَّهـا في الشَّرقِ سلعةٌ ، تُعامَلُ بدونِيَّةٍ وقَهْرٍ .

أرسلتُ إلى الطَّـالبِ النَّجيبِ مـا طلبَ ، أسماءَ عـددٍ مِنَ الكتبِ تعالجُ العُنْفَ ، وأُخرى توضِّحُ موقِفَ الإسلامِ مِنَ المرأةِ .

العنفُ والمرأةُ :

ولَمَّا كانَ موضوعُ محـاضرتِنـا اليومَ : (تحريرَ المرأةِ مِمَّن ؟ وفِيمَ حرِّيتها ؟) أستميحُكُم عـذراً بـدقـائِق ، أُعرِّجُ بهنَّ على موضوعِ العُنْفِ ، موضوعِ الإسلامِ والسَّيفِ ، لا لأُفنِّدَ أَوْ أَشْرَحَ ، بَـلْ لـوضْـعِ تسـاؤلٍ أمـامَكم ، لا بُـدَّ أَنَّكُم ستجـدونَ إجـابَتَـهُ في نفوسِكُمْ :

في عام ١٩٩٢ ، أُقيمتِ احتفالاتٌ هنا في الأندلُسِ ، بمناسبـةِ مُرورِ خَمسِ مئةِ عامٍ على مصرعِ غَرْناطةَ ، كما أُقيمتِ احتفـالاتٌ هنـاكَ في أمريكـةَ ـ الجنـوبيَّـةِ منهـا خـاصَّـةً ـ بمنـاسبـةِ مرورِ خَمسِ مئةِ عامٍ على اكتشافِها مِنْ قِبَلِ كولومسَ .

ماذا جرى هُنا ؟ وماذا جرى هُناكَ ؟

مـــاذا جرى في الأنـــدلسِ ؟ ومـــاذا جرى في أمريكـــةَ اللاَّتينيَّةِ ؟

صورتانِ متعـاكِسَتـانِ متنـاقِضَتـانِ ، الأُولى : صورةٌ لأثَرِ فَتْحٍ حضاريٍّ إنسانيٍّ مُتسامِحٍ ، مِنْ ثمارِهِ حضارةٌ رفيعَةٌ سامِقَـةٌ ، والثَّانيةُ : صورةٌ لأثرِ كشوفٍ دمويَّةٍ أسفَرَتْ عَنْ إبادَةِ شعوبٍ ، ومَحْوِ حضاراتٍ .

هنا ، القوميَّةُ الأندلسيَّةُ أصبَحَتْ واقعاً متجلّيـاً ، اجتماعيّـاً وسياسيّاً ، بَعْـدَ أنْ كانَتْ مُحـارَبـةً ومُضطهَـدَةً مِنْ قِبَلِ الْحُكْمِ الفرنكاويِّ .

الأنـدلسيُّـونَ اليـومَ يقـولـونَ : نَحْنُ إسبـانٌ لُغـةً وولاءً ، وأندلسيُّونَ تاريخاً وحضارةً .

للأندلُسِ اليومَ كيانٌ مستقِلٌ في دائرةِ الدَّولـةِ الإسبـانيَّـةِ ، وأصْبَـحَ لهـا حكـومـةٌ محلِّيَّـةٌ تـديرُ شؤونَهـا ، ومصـوّرٌ يُحـدِّدُ مناطِقَها ، وعَلَمٌ ونشيدٌ قوميٌّ .

العَلَمُ الأَندلسيُّ الرَّسميُّ يتكوَّنُ مِن ثلاثـةِ مستطيلات : أخضرَ وأبيضَ وأخضرَ ، والحرسُ البلديُّ يضعُ على كتِفِهِ عَلَمَ الأندلُسِ ، بينما تَضَعُ الشُّرطةُ العَلَمَ الإسبانيَّ : الأصفرَ .

شبابٌ أندلسيٌّ مُسْلِمٌ يقومُ بـالـدَّعوةِ لِنَشْرِ الإسلامِ ، الـدِّين العالميِّ الإنسانيِّ ، الَّذي لا يُنْكِرُ الدِّياناتِ السَّابقةَ ، ولا الأنبيـاءَ السَّابقين .

توَّجَ الشَّبـابُ الأنـدلسيُّ نشـاطَـهُ هـذا ، بـاعترافِ الـدَّولـةِ الإسبانيَّةِ بالإسلامِ ديانةً رسميَّةً إلى جـانِبِ الـدِّيـانتَيْنِ المسيحيَّـةِ واليهوديَّةِ ، وذلكَ في صَيْفِ ١٩٨٩ م .

وفي إشبيليـةَ ، أُقيمَ حفلٌ موضوعُـهُ : شِعْرُ الْمَلِـكِ الإشبيليِّ المعتمـدِ بنِ عبّـادَ ، افتَتَـحَ الحفـلَ أُسـتاذٌ جـامِعِيٌّ ـ وهُـوَ رئيسُ الجماعَةِ الإسلاميَّةِ ـ اسمُهُ عبدُ الرَّحمن مـدينـا ، بقولِـهِ : بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، ثمَّ قالَ بالإسبانيَّـةِ : خيرُ مـا نفتَتِحُ بـهِ حَفْلَنـا ، آيـاتٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ ، وهُـوَ كتـابُ المسلمينَ ، أجـدادِكُمْ ، وقُرِئَتْ سورَةُ والتِّينِ والزَّيتـون ، فـالتِّينُ والـزَّيتـونُ همـا شعـارُ الأنـدلسيِّينَ أيَّـامَ الفَتْحِ الإسـلاميِّ ، وكانَ مِنْ عـاداتِهِمْ تقـديمُهُما

للـزُّوَّارِ ، وبَعْـدَ قِراءَة القرآنِ الكريمِ ، دوَّى المكانُ بـالتَّصفيـقِ ، وهــذا يــدلُّ على تعــاطُفِ الجمهورِ غَيْرِ المُسْلِمِ ، مَـعَ المُسلمينَ الجُـدُدِ ، أحفـادِ طـارقِ بنِ زيـاد ، وعبـدِ الرَّحمنِ الـدَّاخِـل ، وعبدِ الرَّحمن النَّاصِرِ .

وقدَّمَ عبدُ الرَّحمنِ مدينا شِعْرَ ابنِ عَبَّـادَ بقولِـهِ : أُقـدِّمُ لَكُمْ شِعْراً رقيقــاً لِمَلِـكٍ عظيمٍ مِنْ ملـوكِ إشبيليــةَ ، الَّتي عَرَفَتْ في عصرِهِ الحضارةَ والازدهارَ ، والتَّفتُّحَ والتَّسـامُحَ الـدِّينيَّ ، ولكنَّني متأسِّفٌ لتقديمِ هذهِ القصائدِ بـالإسبـانيَّـةِ ، إذ كانَ مِنَ المفروضِ أَنْ تُقدَّمَ باللُّغةِ العربيَّةِ ، لُغَةِ آبـائِكُمْ وأجـدادِكُمْ ، وكانَ تَقْـديمـاً مؤثِّراً ، قُوبِلَ بالاستحسـانِ والتَّصفيقِ ، وأخبرَ الأُستـاذُ مـدينـا الحضـورَ بـأنَّ مسلمي الأنـدلسِ سيـؤدُّونَ صـلاةَ العصرِ ، وأُقيمتِ الصَّلاةُ ، وَسْطَ حشودِ الحـاضرينَ ، الَّـذينَ احترموا شعورَ هؤلاءِ المسلمينَ بالصَّمتِ .

وبَعْدَ ذَلِكَ أَلْقيتُ كلماتٍ حَوْلَ تاريخِ الحضارةِ الأندلسيَّةِ ، وخُتِمَ الحفلُ بالنَّشيدِ القوميِّ[1] .

---

(١) الشَّرق الأوسط : ١٩٩٠/٥/٢٥ م ، هذا : =

هـذا مـا كانَ هُنـا ، أَمَّـا هنـاكَ ـ كما أذاعَتْ لنـدنُ صبـاحَ ١٩٩٢/١٠/١٣ ـ بمناسبةِ زيارةِ البابا للدُّومنيكانِ ، بمناسبـةِ مرورِ خمسِ مئةِ عامٍ على اكتشافِ كولومبسَ لأمريكـةَ ، نَقَلَتْ إذاعـةُ لندنَ عَنْ وكالاتِ الأنباء :

ـ تحطيمَ تماثيلِ كولومبس في عـددٍ كبيرٍ مِنْ مُـدُنِ أمريكـةَ الجنوبيَّةِ .

ـ وحَرْقَ الأعلامِ الإسبانيَّةِ في كوستاريكا .

ـ وفي الإكوادورِ ، انفجاراتٌ احتجاجاً بهذِهِ الذِّكرى .

ـ وفي لابـازَ عـاصمـةِ بـوليڤيـا ، مظـاهراتُ تنـديـدٍ بهـذهِ المناسبةِ .

= وأُقيمَ احتفالٌ مهيبٌ سنة ١٩٦١ بمناسبةِ الذِّكرى الألفيَّةِ لوفـاةِ عبـدِ الرَّحمنِ النَّـاصرِ في قرطبـةَ ، ترددت أصـداؤه في جميعِ أنحـاء إسبـانيـةَ ، وتمَّ وضْعُ عمودَيْنِ على جانبي بوَّابةِ مسجدِ قرطبةَ ، حُفِرَتْ عليهما بالعربيَّةِ والإسبانيَّةِ تحيَّةَ وفاءٍ وعرفانٍ بالجميلِ لروحِ عبدِ الرَّحمنِ مِنْ مواطنيه سكَّان قرطبـةَ .
[تاريخ الأندلس د . أحدبدر ،ص : ٨٠] .

وأُقيمَ تمثـالٌ بطولِ أربعـةِ أمتـارٍ لعبـدِ الرَّحمنِ الـدَّاخلِ (صقرِ قريشٍ) في مدينـةِ المنكّبِ سنـة ١٩٨٤ م بمنـاسبـةِ مرورِ ١٢٠٠ عـامٍ على نزولِـهِ أرضَ الأندلسِ .

ـ وفي الدُّومنيكانِ أقَرَّ البابا بالقهرِ والعنفِ والاضطِّهادِ ، الَّتي رافقتِ الكشوفَ .

هذهِ الصُّورةُ القاتِمَةُ ، دَفَعَ إليها صورةٌ سوداءُ ، انتصبَتْ وراءَها ، صورةُ إبادَةِ حضاراتِ الإنكا والمايا والآزتيكِ .

فرانسيسكو بيسارو حَصَدَ حضارةَ الإنكا بوحشيَّةٍ لا يتصوَّرُها عَقْلٌ .

وكورتيز مَحَا إمبراطوريَّةَ الآزتيكِ بدمويَّةٍ مُرْعِبَةٍ .

يقول الدُّكتورُ شاكرُ مصطفى[1] : « الحديثُ عَنِ الهنودِ الحمرِ ، حديثٌ عَنْ مأساةِ ثلاثينَ مليونَ إنسانٍ أبادَتْهُمُ البندقيَّةُ الأُوربيَّةُ والمدفعُ ، حديثٌ عَنْ جريمةٍ اشتركَتْ فيها جميعُ القوى الأُوربيَّة ، وكانَ لها أكثرُ مِن جنكيز خان واحدٍ ، وكانَتْ عمليَّةً مِنْ أفجَعِ عمليَّاتِ الإبادةِ الجماعيَّةِ في التَّاريخِ ، باسم الكنيسةِ والمدنيَّةِ ، هذا الثُّنائيِّ السَّاحق ، تمَّت العمليَّة » .

---

(١) المظلومون في التاريخ ، ص : ١٣١ .

هـذا مـا كانَ هنـاك منـذُ خمسِ مئـةِ عـامٍ ، فكانَ نتيجـةً طبيعيَّةً لِمَا جَرَى هذا العامَ .

أمَّا هُنا ، فالحضارةُ الأندلسيَّةُ ، نبخَسُها حقَّها إنْ تكلَّمنا عنها بعُجالـةٍ ، ويكفينا أن نـذكرَ اسمَ عبـدِ الرَّحمنِ النَّـاصِرِ ، ليتبادَرَ إلى الفكرِ حضارةٌ عظيمةٌ ، أشعَّت نهضةً عالميَّةً .

فهنـا اليـومَ ، يحتفـلُ الأنـدلسيُّـون بصـورةٍ زاهيـةٍ رفيعـةٍ مضيئةٍ ، انتصبَتْ وراءها صورةُ فتحٍ إنسانيٍّ بهيٍّ .

العنف واللاَّعنفُ ، لهما حـديثٌ آخر ، يـدعـو إليـهِ الأخُ الكريمُ الأُستاذُ جودتُ سعيدٍ ، فَاللاَّعنفُ ـ لا نظريَّة ـ بل أوامرُ إلهيَّةٌ نتبنَّاها :

﴿ لا إكْراهَ في الدِّينِ ﴾ ، أي حُرِّيَّةُ العقيـدةِ لِمَن خـالَفَنا فيها ، والقتالُ في الإسلامِ لنشرِ حرِّيَّةِ الدِّينِ والعقيـدةِ ، والَّـذي لا يجوزُ هُوَ الإكراهُ ، ﴿ لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ في الدِّينِ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطينَ ﴾ .

وما أروعَ عبارةَ مولانـا محمـد علي في محـاكمتِـهِ أمـامَ المحكمةِ

الإنكليزيَّةِ عندما قـال : « سيِّـدي ، إنَّني أُخـالِفُ كلَّ كلمـةٍ مِمَّـا ذكرت ، ولكنَّني سأُقـاتِلُ لآخرِ قطرةٍ في دمي ، دونَ حقِّـكَ في أنْ تقولَ ما تريدُ » .

الأمرُ طبيعيٌّ أن تتفتَّحَ الآفاقُ أمامَ العقيـدةِ المنسجمـةِ مَعَ فطرةِ الإنسانِ ، وكلُّ عقيدةٍ تسبحُ ضـدَّ تيَّـارِ الفطرةِ الإنسـانيَّـةِ ستنهارُ ، ومِمَّـا لا شـكَّ فيـه أنَّ الحضـارةَ المـادِّيَّـةَ ، عجزَتْ عن تـأمينِ التَّوازنِ النَّفسيِّ للإنسـانِ ، وتحقيـقِ السَّعـادةِ ، على الرَّغمِ مِنَ المكاسِبِ الكبيرةِ الَّتي حصـلَ عليهـا بـالتَّقـدُّمِ العلميِّ والتِّقني الَّذي أحرَزَه .

فالإنسانُ الغربيُّ أصلحَ كلَّ شيءٍ ، وفشِلَ في إصلاحِ نفسِهِ ، ألا يكفيـهِ أنَّـه ينفقُ ٨٤٠ مليـارَ دولارٍ على التَّسليـحِ كلَّ عـامٍ ، وهذا إحصاءُ عام ١٩٨٧ م ، فكم ينفقُ الآنَ ؟

١١ يقول السِّيناتُورُ الأمريكيُّ (وليم فولبرايت) ، الَّـذي تولَّى رئاسةَ لجنـةِ العلاقـاتِ الخـارجيَّـةِ في الكونغرسِ الأمريكيِّ لعـدَّةِ دوراتٍ ، وصاحب كتاب (حمـامَـةُ القوَّة) ، يقول فولبرايت :

« لقد وضعْنا رجلاً على سَطْحِ القمرِ ، ولكنَّ أقدامَنا غـائصـةٌ في الوَحلِ » .

إنَّ العنفَ ـ لا محـالَـةَ ـ زائـلٌ ، إذا سُمِـحَ للنَّـاسِ ، كلِّ النَّـاس ، بتقـديمِ آرائهم ، لا أنْ تفتـحَ أبـوابٌ في وجـه أُنـاسٍ ، وتـوصـدَ في وجـهِ أُنـاسٍ آخرينَ ، وأنـا في صـددِ تقـديمِ كتـابٍ اسْمُهُ : (الحوار دائماً)[1] .

العنفُ ـ لا محـالـةَ زائـلٌ ـ إذا انـدرَجَ ضمنَ ضمانِ حقـوقِ الإنسـانِ ، لا مِنْ منظـورِهِ الغربيِّ ، الَّـذي يرى مِنْ حقٍّ فئـةٍ الهجرةَ إلى أرضٍ واغتصابَها وتشريدَ شعبِهـا ، في حينِ أن اقتلاعَ شعبٍ وطرده من ديـارِهِ ، بل وقتلـه ، لا يشكِّلُ انتهـاكاً لحقوقِ الإنسانِ ، وما يجري من تصفيـةٍ عرقيَّـةٍ في البوسنـةَ والهرسِكِ ، مسـألـة داخليَّـةٌ ، فللدِّيمقراطيَّـةِ ، ولحقـوقِ الإنسـان عنـدَهُمْ وَجْهـانِ ، حتَّى أعـادوا النَّظرَ في تفسيرِ مفهـومِ الـدِّيمقراطيَّـةِ (الأكثريَّـةِ) ، فـالأكثريَّـةُ تُـزعجُهُمْ إن نجحَتْ عَبْرَ صنـاديـقِ الاقتراعِ ، إنْ لَمْ تَكُنْ مواليةً لَهُمْ !

---

(١) صدر ١٩٩٤ م عن دار الفكر بدمشق .

تحريرُ المرأةِ ممَّن ؟ وفيمَ حرِّيتها ؟

ينـدبُ بعضُهم حـظَّ المرأةِ في الشرقِ ، وتراهم ينظرونَ إلى حرَّيـةِ المرأةِ الأُوربيـةِ حيثُ نـالتْ كامـلَ حريتِهـا ، وتسـاوتْ بالرَّجلِ وأكثر ، وقالوا : إنها هناكَ مكرَّمةٌ ، شـاركتِ الرجلَ في المصنـعِ ، وفي بنـاء الاقتصـادِ ، وفي مسيرةِ المجتمـعِ ، أمـا هنـا ، فحالُها مؤلمةٌ .

أيُّهـا الإخوةُ : إنَّ البحوثَ الاجتماعيَّـةَ عنِ المرأةِ العربيَّـةِ ، مقـارنـةً بـالمرأةِ الغربيـةِ ، تمَّتْ تحتَ إشرافِ الأممِ المتحـدةِ ، من السُّويد ..

مِنْ الدولةِ التي أعطتِ المرأةَ حريَّةً كاملةً ، السويـدُ ، حتى إنَّ فلسفـةَ التَّربيـةِ قـد تحررتْ تمـامـاً من تجهيزِ وإعـدادِ الـولـدِ ليكونَ رجلاً ، ومِنْ تجهيزِ وإعـدادِ البنتِ لتكـونَ امرأةً ، فليسَ في فلسفةِ التربيـةِ في السويـدِ التَّمييزُ بينَ تهيئـةِالـذَّكرِ للخشونـةِ وقساوةِ الحياةِ ، وتهيئـةِ البنتِ لتكون أُنثى ، والأُنوثـةُ لا تُعَـاملُ برعـايـةٍ خـاصـةٍ لأنهـا أُنـوثـةٌ ، وهي لا تعـدُّ قرينـاً للضَّعفِ

الطبيعيّ ، أو الرِّقَّة ، أو الدلالِ ، بل إنَّ كلاً من البنتِ والولدِ يُهَيَّأان نفسياً للحياةِ على أساسٍ إنسانيٍّ محايدٍ ، حتى الجنسُ جرَّدوهُ من معنى السَّالبِ والموجبِ ، ولم تعدْ تُستعملُ في القاموسِ السويديِّ كلمة (إغواء) بالمعنى التقليديِّ في لغاتٍ أخرى ، والتي تجعلُ انتهاكَ العِرضِ تهمةً قاصرةً على الرجال في حقِّ النساء ، ومِن تحصيلِ الحاصلِ أنَّ كلمة (عُذريَّة) انقرضت تماماً .

وحريةُ المرأةِ في السويدِ شملتِ الحملَ ، فالمرأةُ السويديةُ لا تريدُ أن تَفقِدَ حريتَها في المتعةِ والانطلاقِ ، ولا تريدُ أن تقاسيَ مِنَ الحملِ والولادةِ ، فهي تريدُ الطفلَ جاهزاً ، ولهذا فإنَّ الفتاةَ السويديةَ التي تريدُ التخلُّصَ من الولادةِ ، لا تتعبُ ولا تحتارُ ، بل فتاةٌ أُخرى تتقاضى أجراً ، لأنَّها قامت بمهمةِ الحملِ بالنيابةِ عنِ الزوجةِ التي لا تريدُ التعرُّضَ لهذهِ التجربةِ ، بل تريدُ أنْ تأخذَ الطفلَ جاهزاً ، وهذا هو السببُ في أنَّ الأنسابَ في السويدِ أصبحت : (سمك ، لبن ، تمر هندي) ، قمةُ الفوضى والضَّياع .

السويـدَ التي تبـدو كأنهـا تنتمي إلى جمهوريـةِ أفـلاطـونَ ، حيثُ الدولةَ هيَ أُمُّ الطفلِ ، وهيَ لا تنظرُ إلى شهادةِ ميلادهِ ، ولا يهمهــا إن كانَ شرعيــاً أو غير شرعيٍّ ، وهي تُعفي الأمَّ التي أوصلتهُ إلى عتبةِ الحياةِ من أيِّ التزامٍ برعايته ، بل إنها تـدفعُ لهـا مبلغاً من المالِ شهريـاً عن كلِّ طفلٍ تضعـهُ منـذ لحظـةِ الميلادِ ، وحتّى سنِّ السادسةَ عشرةَ .

السويدَ التي أحسَّ بها المواطنَ بالأمانِ والرَّفـاهيـةِ والنَّعيمِ ، إلى حدِّ أنها منحت في دستورِها حقَّ الإضرابِ عن العملِ في ظلِّ القـانونِ لكلِّ فردٍ فيهـا ، حتى السَّجينُ السويـديُّ ، يكاد يكونُ نزيلَ فندقٍ ، يُقدَّم الطعامَ والشرابَ لنزلائهِ ، ثمَّ يُقـدِّمُ لـه أجراً على عملـهِ في مصنعِ السجنِ ، ولـه حقُّ استقبـالِ الـزُّوارِ مرةً كلَّ أُسبوعٍ لمدَّةِ ستِّ ساعـاتٍ ، ولـهُ الحقُّ في إجـازةٍ ثمـانيـة وأربعينَ ساعـةً كلَّ شهرٍ ، يقضيهـا مع زوجتـهِ ، أو أسرتـهِ ، ثمَّ يعودُ إلى السِّجنِ بعدَ انتهاء الإجازةِ .

مِنَ السـويـد ، مِنْ هـذهِ البلادِ التي أعطتِ المرأةَ كلَّ شيءٍ ، أعطتها الحريَّةَ بكلِّ معانيها وحدودِها ، اختـارتِ الأُممُ المتحـدةُ

القاضية السويدية (بريجيدا أولف هامر) لدراسةِ مشكلاتِ المرأةِ الشرقيَّةِ العربيَّةِ على الطبيعةِ ، ومدى ما يصلُ إلى المرأةِ العربيَّةِ في مختلفِ بيئاتها وتقاليدِها ، من حقوقِها المكفولةِ لها في دساتيرِ وقوانينِ البلادِ العربيَّةِ ، فدرستْ (بريجيدا) المرأةَ في الشَّرق ، من أعماقِ المرأةِ الصَّعيديَّةِ في (أبي طشت) في صعيدِ مصرَ ، إلى أعماقِ المرأةِ التُّونسيَّةِ في (سيدي تمراز) في تونس ، إلى عمقِ أعماقِ المرأةِ اللِّيبيَّةِ في (مصراته) ، وإلى عمقِ أعماقِ المرأةِ العراقيَّةِ في السُّليمانيَّةِ .

وكانَ اعتقادُ القاضيةِ السُّويديَّةِ التي مارستِ الحرُّيَّةَ في بلادِها إلى أقصى حدودِها ، التي درستْ عن كثبٍ المرأةَ الشَّرقيَّةَ ، أنَّ المرأةَ الشَّرقيَّةَ في قطاعاتٍ كثيرةٍ وبارزةٍ مِنَ البلادِ العربيَّةِ التي زارتها ، أكثرُ حريَّةً مِنَ المرأةِ السويديَّةِ ، وقالت (بريجيدا) : المرأةُ القرويَّةُ في صعيدِ مصرَ ، والمرأةُ البدويَّةُ في أعماقِ فزّانَ بليبيةَ ، على الرَّغم من عزلَتِها عن المجتمع ، فإنَّها تمارسُ وضعاً ينتمي إلى القداسةِ لا إلى العبوديةِ ، وتتسلَّطُ على الرَّجلِ تسلُّطاً فعليّاً ، ابتداءً مِنْ شؤونِ النَّهارِ ، وانتهاءً بشجونِ اللَّيلِ .

وقالت (بريجيدا) : إنَّ للمرأةِ الشرقيَّةِ عالَمَها الخَالِمَ الخاصَّ ، وبعبارةٍ أُخرى ، فإنَّ المرأةَ الغربيَّةَ ـ والإسكندنافية بوجهٍ خاصٍّ ـ قد (داخت سبعَ دوخاتٍ) ، لكي تنالَ حرِّيتها في المساواةِ بالرَّجلِ ، إلا بعدَ أنْ جرَّدتها من صفاتِها الأُنثويةِ ، وحقوقِها الأُنثويَّةِ ، وحرِّيَّتها الأُنثويَّةِ ، لتجعلَ منها كائناً أقربَ إلى الرَّجلِ ، إنها حرِّيَّةُ ساكنِ الجنَّةِ الذي سعى إلى النُّزولِ إلى الأرضِ ، أو حريَّةُ الطَّاووسِ الذي سعى إلى أنْ يكونَ غُراباً ، وباختصار : هي حريَّةُ المرأةِ في أنْ تكونَ رجلاً .

وتضيفُ القاضيةُ السويديةُ قائلةً : إنَّ حريةَ المرأةِ العربيةِ تعايشُ حريةَ الرجلِ دونَ أن تمسَّهُ ، فكلٌّ منهما حرٌّ في ميدانهِ ، وبطريقتهِ الخاصَّةِ، أما المرأةُ الغربيَّةُ المنعمةُ فإنَّها تمارسُ حريَّةً تُنْقِصُ حريَّةَ الرَّجلِ وتخنقُها وتزاحمُها ، كما أباحَ القانونُ الحرِّيَّةَ الجنسيَّةَ للمرأةِ إلى أقصى حدٍّ ، لدرجةٍ جعلتِ الرَّجلَ هُوَ الفريسة ، والمرأةَ هي الصَّياد .

والنَّتيجةُ ـ على مستوى الأُمَّةِ ـ مذهلةٌ حقاً .

ففي تقريرٍ رسميٍّ خطيرٍ لـوزارةِ الشـؤون الاجتماعيــــةِ السويديَّةِ ، تعلنُ الحكومةُ أنَّ ٢٥٪ من سكانِ السويدِ ، مصابونَ بـأمراضٍ عصبيَّـةٍ ، وأنَّ ٣٠٪ من مجموع المصروفـاتِ الطِّبيَّـةِ في السويدِ تنفقُ على علاجِ الأمراضِ العصبيةِ والنفسيَّةِ .

وتسفرُ ظـاهرةُ انتشـارِ الأمراضِ العصبيَّـةِ عنْ نفسِهـا على هيئـةِ ارتفـاعٍ مـذهلٍ في نسبـة حـوادثِ الانتحـارِ ، ففي الفترة مـا بين : ١٩٥١ ـ ١٩٦٨ تضـاعفتْ حـالاتُ انتحـارِ النِّســاء السويديَّاتِ ، وخصوصاً النِّسـاءُ اللَّواتي تتراوحُ أعمـارُهُنَّ بينَ ٢٥ و ٢٩ سنـة ، إذ زادت من ٦,٢ حـالاتٍ مِنْ كلِّ ألفِ امرأةٍ ، إلى ١٢,١ حـالـةً ، في حينِ لم تسجـل حـالاتُ انتحـارِ الرَّجـلِ أيَّ ارتفاعٍ .

وتقولُ بريجيـدا معلِّقـةً : من المستحيلِ تجـاهُلُ الرَّبـط بينَ هذه النِّسبةِ المتضاعفـةِ بهـذا الشَّكلِ الغريبِ ، واضطرادِ الحرِّيـةِ التي تمارسُها المرأةُ السويديةُ في الحقبةِ الزمنيَّة ذاتِها .

ومن مشكلاتِ السـويـدِ ، والتي نجمت عن حريـةِ المرأةِ ،

مشكلةُ المسنِّينَ ، فالمسنُّونَ في السويد أتعسُ خلقِ اللهِ ، على الرَّغمِ من الرِّعايةِ الأسطوريَّةِ التي يُضفيها عليهم المجتمعُ ، فالإحساسُ بالوحدةِ والاغتراب ، يضفي نوعاً من القتامةِ والجهامةِ على المجتمعِ السويديِّ ، لارتفاع نسبةِ المسنِّينَ فيهِ ، فالأولادُ والبناتُ حين يكبرونَ يفترقونَ - بشكل طبيعيٍّ - عن عائلاتِهم ، وانخفاضُ نسبةِ الإنجابِ تزيدُ في قساوةِ الوحدةِ ، التي تكادُ تقضي على معنوياتِ الآباء ، وليسَ للمشاعرِ العائليةِ في مجتمعاتِهم قداسةٌ تشبهُ قداستَها في المجتمعاتِ الشرقيَّةِ ، ومن هنا يمكنُ تصوُّر الآلامِ النفسيَّةِ المفزعةِ التي يشعر بها المسنُّونَ في السويدِ .

شيءٌ واحدٌ يخفِّف مِن تجهُّمِ هذه الصورةِ في مستعمراتِ المسنِّينَ ، هوَ قَصَصُ الغرامِ التي تنشبُ بينَ العجائزِ بعدَ سِنِّ السَّبعينَ ، وأحياناً بعدَ سِنِّ الثمانينَ ، ولكنْ سرعانَ ما يدب الخلافُ ، ويلجأُ الجميعُ إلى ساحاتِ الطَّلاقِ ، الأمرُ الذي يجعلُ حياةَ هؤلاء الناسِ خليطاً مِنَ المأساةِ والملهاةِ .

هذا ما قالتهُ القاضيةُ السويديَّةُ (بريجيدا أُولف هامر) بمناسبة عام المرأةِ ١٩٧٥ .

وتقولُ : إنَّ نسبةَ الطَّلاقِ في السويدِ هي أكبرُ نسبةٍ في العالم ، طبقاً للإحصاءات التي أعدَّتها وزارةُ الشؤونِ الاجتماعيةِ بالسويدِ ، فإنَّ أيَّ سببٍ بسيطٍ يقدِّمُهُ أحدُ الزَّوجينِ يمكنُ أن يتمَّ بهِ الطَّلاقُ ، وهذا التَّخبُّطُ في حياةِ الأُسرةِ والزَّوجيَّةِ يسودُ النَّروجَ والدنماركَ ، والحالُ في عددٍ آخرَ مِنْ دولِ العالمِ ، لا تقلُّ عن هذهِ الحالِ[1] .

دراساتٌ تنطقُ بالألم والحسرةِ ، وبالنَّتائجِ المحزنةِ .

أيُّها الإخوةُ : تحرُّرُ المرأةِ ، دونَ تحديدٍ لمفهومِ الحريَّةِ ، أمرٌ خطيرٌ جداً على مستوى الفردِ ، وعلى مستوى المجتمعِ .

هل تحرُّرُ المرأةِ أنْ تتحوَّلَ إلى أداةِ متعةٍ ومفاتنَ ، جسدُها هوَ الوسيلةُ إلى بلوغِ هذهِ المتعةِ[2] ؟

تحررُ المرأةِ ، دونَ تحديدٍ لمفهومِ الحريَّةِ ، أمرٌ خطيرٌ ، فعددٌ لا بأسَ بهِ ، جعلهُ انفلاتَ المرأةِ مِن حشمتِها ، ومِنَ النُّظمِ التي

(١) الأسبوع العربي ، العدد ٨٢٠ ، الإثنين ٢٤ شباط ١٩٧٥ م .

(٢) قارن بين استقبال راقصةٍ في بلدٍ ، وبين استقبال عالمٍ ، أو أستاذٍ مخترعٍ ، أو مفكرٍ باحثٍ !! .

ترسمُ خطوطاً واضحةً لتنظيمِ العلاقةِ بينَ الجنسَين . وهذهِ الخطوطُ الواضحةُ لا ترضيهم ، لأنها لا تُرضي غرائِزهُم الجامحةَ ، فطالبوا بالفوضويَّةِ . ولكن تحتَ كلمةٍ عذبةٍ في المسامعِ ، إنَّها (الحُريَّةُ) .

أيُّها الإخوةُ :

ما يُحسبُ على الإسلامِ . هُوَ الذي ينشأُ وفقَ أحكامِهِ وأُصولِهِ وتصوُّراتِهِ وشرعتِهِ وموازينهِ ، أما ما يقعُ في المجتمعِ الذي ينتسبُ إلى الإسلامِ خارجاً على أُصولِهِ ومراميهِ ، فلا يجوزُ أنْ يُحْسَبَ منهُ ، لأنه انحرافٌ عنهُ .

ومسألةُ تحرُّرِ المرأةِ ، لا تعالجُ بسلسلةٍ مِنْ أحكامِ الحلالِ والحرامِ تتَّسعُ دائرتُها وتضيقُ ، حسب درجاتِ التطورِ الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ ، بل حسبَ مبادئ ثابتة .

أيُّها الإخوة :

التزمتِ اليونانُ بالعلاقةِ غيرِ الشرعيَّةِ بينَ الرَّجلِ والمرأةِ ، فمِنْ آلهتهم الإلهةُ أفروديت ، التي خانتْ ثلاثةَ آلهةٍ ، وهي زوجةُ

إلهٍ ـ حسبَ عقيدتهم ـ وكانَ من أخدانِها رجلٌ مِن عامَّةِ البشرِ ، فولدت كيوبيد ، إلهَ الحبِّ عندهم .

وكانَ عقدُ زواجِ الفتاةِ مع زوجها عندَ الرُّومانِ يُسمَّى : (اتفاق السِّيادةِ)[1] .

وفي شريعة حمورابي ، تُحْسَبُ المرأةُ في عدادِ الماشيةِ المملوكةِ .

وفي شريعة مانو في الهندِ ، المرأةُ قاصرٌ طيلةَ حياتِها ، ولم يكن لها حقٌّ في الحياةِ بعدَ وفاةِ زوجها ، بل يجبُ أن تموتَ يومَ موتِ زوجها ، وأن تُحْرَقَ معه وهيَ حيَّة على موقدٍ واحد ، وبقيت الحال كذلك حتَّى القرنِ السَّابع عشَر ، حيث أُبطلتْ على كرهٍ من رجالِ الدينِ الهنودِ .

وفي اليهوديَّةِ : المرأةُ أمرٌّ مِنَ الموتِ ، إنَّها لعنةٌ ، وفي سفر التكوين ١٦/٣ : « وإلى رَجُلِكِ يكونُ اشتياقُكِ ، وهو يسودُ عليكِ » ، أما في التَّلمودِ البابلي (المرأة) فهي دُون نجسةٌ .

---

(١) تاريخُ الحقوقِ الرومانيِّ ، الدكتور معروف الدَّواليبي ، والمرأة عندَ اليونانِ ، والمرأةُ عندَ الرُّومانِ ، الدكتور محمود سلام زناتي .

وصمتَ السيِّدَ المسيحُ عليه السَّلام عن حقِّ المرأةِ ، وقال : « أَيَّتُها المرأةُ ، ما لي ولكِ » ، أوّلوها كما شئتُم ، وفسّروها كما أردتُمْ ، فالمرأةُ في اعتقادِ وعقيدةِ الأوربيينَ حتى مئتي سنةٍ : مطيَّةُ الشَّيطانِ ، وهي العقربُ الذي لا يتردَّد قط عن لدغِ أيِّ إنسان ، وهي الأفعى التي تنفثُ السُّمَ الزُّعافَ ، وهي اللعابُ الذي يسيلُ مِن فَمِ الأُفعوانِ .

وفي أوربةَ انعقدَ مؤتمرٌ في فرنسةَ عام ٥٨٦ م ، أي أيامَ شبابِ النبي ﷺ ، للبحثِ هل تعدُّ المرأةُ إنساناً ، أم غيرَ إنسانٍ ؟ وأخيراً قرَّروا : إنَّها إنسانٌ خُلقتْ لخدمةِ الرَّجلِ فحسب !

والقانونُ الإنكليزيُّ حتى عام ١٨٠٥ م كانَ يبيحُ للرجلِ أن يبيعَ زوجتَهُ بستةِ بنساتٍ فقط ، فقد حدثَ أنْ باعَ إنكليزيٌّ زوجتَهُ عام ١٩٣١ بخمسِ مئةِ جنيه ، وفي المحكمةِ قالَ محاميهِ في الدِّفاعِ عنهُ : إنَّ القانونَ الإنكليزي قبل مئةِ عامٍ كانَ يبيحُ للزَّوجِ أنْ يبيعَ زوجتَهُ ، ولكنَّ المحكمةَ قرَّرتْ سجنَهُ عَشَرَة أشهرٍ لأنَّ القانونَ أُلغي عامَ ١٨٠٥ م .

حتَّى الثَّــورةُ الفرنسيَّــةُ التي أَعلنَتْ تحريرَ الإنســانِ مِنَ العبـوديَّـةِ والمهـانـةِ ، لم تشمـلِ المرأةَ بحنوِّهـا ، والقـاصرونَ في عرفهــا : الصَّبيُّ ، والمجنــونُ ، والمرأةُ ، واستمرَّ ذلـكَ حتى عــامِ ١٩٣٨ م ، حيثُ عُدِّلتْ هذه النُّصوصُ لمصلحةِ المرأةِ .

فتحريرُ المرأةِ ، أمرٌ طبيعيٌّ مطلوبٌ في مجتمعٍ ظَلَمَ المرأةَ ، في مجتمعٍ يعتقدُ : « ماذا تقولينَ أيتُهـا المرأةُ ؟ إنـك قـد أصبحتِ لا تملكينَ لذاتِكِ بدناً ، فهل يبقى لكِ مالٌ تملكينَهُ ؟ » .

أما في عقيدةٍ اعترفت بكامل إنسـانيتهـا ، كالرَّجلِ تمـاماً ، وفتحت أمـامهـا مجـالَ التَّعليمِ ، وأسبغت عليهـا مكانـاً اجتماعيًّـاً كريماً في مختلفِ مراحلِ حياتها ، تنمو هـذهِ الكرامـةُ بنموِّ سنِّهـا : من طفلةٍ إلى زوجةٍ إلى أُمٍّ ، حيث تكونُ في سنِّ الشَّيخوخةِ التي تحتـاجُ معهــا إلى مـزيــدٍ مِنَ الحبِّ والحُنُـوِّ والإكرامِ ، المرأةُ في عقيدةٍ اعترفَتْ بكاملِ إنسانيتها ، مع الأهليَّـةِ المـاليَّـةِ الكاملـةِ ، حيثُ لم تجعلْ لأحدٍ عليها ولايةً بعدَ سنِّ الرُّشدِ ، مِمَّ نحررها ؟

الرَّجلُ والمرأةُ في الإسلام ، من أصلٍ واحدٍ :

﴿ ياأيُّها النَّاسَ اتَّقُوا رَبَّكُم الذي خَلَقكُم من نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُما رَجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللهَ الذي تَسَاءَلونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إنَّ اللهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ ، [النساء : ٤/١] .

ومسؤوليتُها الإنسانيَّةُ الكاملةُ صانها الإسلامُ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ من ذَكَرٍ أو أُنثى وهُوَ مُؤمِنٌ فأولئكَ يدخُلُونَ الجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ ، [النساء : ٤/١٢٤] .

وأكَّد على استقلالِ شخصيتها : ﴿ وَعَدَ اللهُ المؤمِنينَ وَالمؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحتها الأَنهارُ خَالِدينَ فيها وَمَسَاكِنَ طَيِّبةً في جنَّاتِ عَدْنٍ ورِضوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ ذلكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾ ، [التوبة : ٩/٧٢] .

لقد أعتقتْ ميمونةُ أُمُّ المؤمنينَ جاريتَها دون علمِ رسولِ الله ﷺ ، [البخاري] .

وأمُّ سليمٍ بنتُ مِلحانَ تهدي رسول الله ﷺ يومَ عُرْسِهِ ، وذلكَ باسمها ، لا باسمِ زوجِها ، قالت : ياأنسُ . اذهبْ بهذا إلى

رسـولِ اللهِ ﷺ فقـل : بَعَثَتْ بهـذا إليـكَ أُمّي ، وهيَ تقرئُــكَ السَّلامَ ، وتقـولُ : إنَّ هــذا لــك مِنّــا قليـلٌ يــا رسـولَ اللهِ ، [مسلم] .

وعاتكةُ بنتُ زيدٍ تتمسَّكُ بحقِّها في صلاةِ الجماعةِ بالمسجدِ ، دونَ رضـا زوجِهـا ، قــالَ لهــا ابنُ عمرَ : لِمَ تَخرجين ـ لصلاةِ الصُّبـحِ والعِشَاءِ ـ وقـد تعلمينَ أَنَّ عمرَ يكرهُ ذلـكَ ويغـارُ ؟ قـالت : ومـا يمنعُـه أنْ ينهـاني ؟ قـال : يمنعـهُ قـولُ رسـولِ الله ﷺ : لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ اللهَ . قال الزُّهري : فلقـد طُعِنَ عمرُ وإنَّها لفي المسجد ، [فتح الباري : ٣٤/٣] .

وأسماء بنتُ أبي بكرٍ تعمـل خـارجَ البيتِ لمصلحـةِ الأُسرةِ ، قالت : كنتُ أَنقلُ النَّوى من أَرضِ الزُّبيرِ التي أقطعهُ رسولُ اللهِ ﷺ على رأسي ، وهي منِّي على ثلثي فرسـخٍ[1] ، [البخــاري ومسلم] .

وجاريةٌ لكعبِ بن مالكٍ كانت ترعى غنماً بسلعٍ ، فأصيبتْ

---

(١) الفرسخ الشرعي /٥٥٤٤م ، كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ابن الرفعة الأنصاري [ت : ٧١٠هـ] ، ص٨٩ .

شاةً منها ، فأدركَتْها فذبحتْها بحجرٍ ، فسُئِل رَسولُ اللهِ ﷺ فقال : كلوها ، [البخاري] .

خالةُ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أَرادت أنْ تقطعَ ثمار نخلِها في عِدَّتِها ، فقيلَ لها لا تخرجي ، فأَتت رسول اللهِ ﷺ فقالَ : بلْ فجدِّي ـ اقطعي ثمارَ نخلِك ـ فإنَّك عسى أن تصدقي . أو تفعلي معروفاً ، [مسلم] .

وفي البخاري ومسلم ، عن أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ : ذهبتُ إلى رسولِ الله ﷺ عامَ الفتحِ ، فسلَّمتُ عليهِ ، فقالَ : مرحباً بأُمِّ هانئ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، زعم ابنُ أُمِّي عليٌّ بنُ أبي طالبٍ أنَّهُ قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه ـ أمَّنته ـ فقالَ رسول اللهِ ﷺ : قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانئٍ .

لقد كانتِ المرأة كالرجل ، تشاركُهُ في مواضيعِ السَّاعةِ ، شاركتْه في وجوبِ الهجرة : ﴿ إن الَّذين تَوفَّاهُمُ الملائِكةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنْتُم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ قَالُوا أَلَم تَكُن أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئكَ مَأواهُم

جَهَنَّمُ وسَاءَتْ مَصِيراً ☆ إلاَّ الْمُسْتَضْعفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّساءِ وَالوِلْدَانِ لاَ يستطيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدونَ سبيلاً ☆ فَأُولئكَ عَسَى اللهُ أن يَعْفُوَ عَنْهُم وَكانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً .. ﴾ [النساء : ٤/٩٧ - ٩٩] .

ونجدها تشاركُ الرِّجالَ في مبايعةِ رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ يَاأَيُّها النَّبيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادَهُنَّ وَلاَ يأْتِينَ بِبُهتانٍ يَفْتَرِينَهُ بينَ أيديهِنَّ وأَرجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصينَكَ في معروفٍ فَبَايِعْهُنَّ واسْتَغْفِرِ لَهُنَّ اللهَ إن اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ [الممتحنة : ٦٠/١٢] .

ونجدها تشاركُ الرِّجالَ الشَّدائدَ ، وتشاركُهمْ في الحياةِ الاجتماعيَّةِ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ ﴾ [المجادلة : ٥٨/١] .

مشاركةً معَ الحفاظِ على سمعتِها وكرامتِها : ﴿ وَالَّذينَ

يَرْمُونَ الْمُحْصَنات ثُمَّ لم يأْتُوا بِأَرْبَعةِ شُهَداءَ فَاجلِدُوهُمْ ثَمانينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبداً وَأُولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ ☆ إلاَّ الَّذينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذلكَ وَأَصْلَحُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ ﴾ [النور : ٢٤/٤ ـ ٥] .

هذا .. ولقد شاركتِ المرأةُ في روايةِ السُّنَّةِ وتعليمها للنَّاس ، حتى قالَ الحافظُ الذَّهبيُّ : « لم يؤثر عنِ امرأةٍ أَنَّها كذبتْ في حديث »[1] .

ولكي لا أُطيلَ ، أُعدِّد بعض مشاركاتِ المرأةِ في زمنِ رسولِ اللهِ ﷺ ، لقد شاركتْ في الاحتفالاتِ العامَّةِ :

ـ الاحتفالِ بالأعراسِ ، وبالعيدين .
ـ وتلبيةِ الدعوةِ لاجتماع عامٍّ بالمسجدِ يدعو إليه مؤذِّنُ رسولِ الله ﷺ .
ـ ومطالبة رسولِ الله ﷺ بدرسٍ خاصٍ للنِّساء ، لأنَّ الرجالَ يغلبونهنَّ عليه في المسجد .
ـ وكانت تذهب وتستفتي بنفسها رسول الله ﷺ في

(١) مقدِّمة الميزان للذهبي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

قضاياها الخاصَّةِ والعامَّةِ ، قال ﷺ : « نعم النِّساءُ نساءُ الأنصارِ ، لم يكن يمنعهنَّ الحياءُ أنْ يتفقَّهنَ في الدين » ، [مسلم] .

- وتأمر الرجال بالمعروف وتنهاهم عن المنكر .

- وتستقبل الضُّيوف وفيهم رسولُ اللهِ ، وتقدِّم لهمُ الطَّعامَ .

- وتخدمُ الضُّيوفَ الرِّجالَ في وليمة عرسها ، وتتحفُ رسول الله بشرابٍ طيِّبٍ .

- وتعتكفُ العشرَ الأواخر من رمضان في مسجد رسول الله ﷺ .

- وتشاركُ في الغزواتِ ، ففي غزوةِ خيبرَ مثلاً ، شاركت عشرون امرأة فيهن صفيَّةُ عمَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ ، وأمُّ سليم[1] ، وأمُّ عطيَّةَ الأنصاريةِ[2] ، قلنَ : يا رسول اللهِ ، قد أردنا الخروج

(١) أم سليم (رميلة ، الغُميصاء) بنت مِلْحان البخارية الأنصارية ، [٧٤٧١ أسد الغابة] .

(٢) اسمها نسيبة بنت الحارث [أُسد الغابة : ٣٨/٧] : كانت من كبار نساء الصَّحابة ، وتغزو مع رسول الله ﷺ .

معــك : نعين المسلمينَ مــا استطعنــا ، ننــاول السّهــام ونسقي السَّـويـق ، ومعنـا دواءٌ للجرحى ، ونغـزل الشّعرَ فَنُعينُ بـــه في سبيل الله .

فقال ﷺ : على بركةِ اللهِ .

لقد شاركتِ المرأةُ المسلمةُ الرَّجلَ المسلمَ في جهادِهِ أيّـامَ رسولِ الله ﷺ ، وتحمَّلتْ المسؤوليَّةَ الَّتي تناسبُ أنوثتها ، كلُّ ذلـكَ في جوٍّ ملائكيٍّ مِنَ الطُّهرِ والعفافِ مِنَ الطَّرفينِ .

وفي الخندق ، أقامَ ﷺ مشفًى ميدانياً ، وحينَ أُصيبَ سعدٌ قـال ﷺ لقومِـهِ : « اجعلـوهُ في خيمـةِ رفيـدةَ حتَّى أعـودَهُ مِنْ قريبٍ » ، وكانت خيمـةُ رفيـدةَ في مسجـدِهِ ﷺ ، حيثُ داوَتْ رفيدةُ الجرحى ، محتسبـةً نفسهـا على خـدمـةِ جرحى المسلمينَ ، وكانَ رسولُ اللهِ يمرُّ بسعدٍ وَهُوَ في خيمـةِ رفيـدةَ فيقول : « كَيْفَ أَمْسَيْتَ ؟ وكَيْفَ أصبحْتَ ؟ » ، فيخبره[1] .

---

(١) للتَّوسُّع : (تحرير المرأة في عصر الرِّسالة) لعبد الحليم أبو شقَّة ، دار القلم ـ الكويت .

لقد شاركتِ المرأةُ مجتمَعَها أُمورَهُ ، وهي أَميرةٌ في أُسرةٍ ترفرفُ عليها المودَّةُ والرَّحمةُ : ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنْفُسِكُم أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بينَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكَّرونَ ﴾ [الروم : ٣٠/٢١] .

في هذا البيتِ المسلمِ ، حيثُ المودَّةُ والرَّحمةُ ، نذكرُ أنَّ البخاريَّ أوردَ عمل المرأةِ بصناعةٍ منزليةٍ ، الغَزْلُ والنَّسيجُ ، حيثُ صُنْعُ الشَّملات .

أَيُّها الإخوةُ : لنْ تتحرَّرَ المرأةُ اليومَ ، ولَنْ تعودَ إلى دورِها الفاعِلِ كما كانَ في عصرِ الرِّسالةِ ، إلا بتحرُّرِ الرَّجلِ مِنْ سوءِ فهمِ بعضِ النُّصوصِ ، الَّتي ما عَرفَ مناسبَتَها ، ولا الموقفَ الَّذي قيلتْ فيه .

فنحنُ نعلمُ في الإسلام : « إنَّما النِّساءُ شقائقُ الرِّجال » ، [الإمام أحمد / الترمذي / أبو داود] .

ونعلمُ أنَّ القرآنَ الكريمَ أوردَ كلمةَ رجلٍ مفردةً ٢٤ مرَّة ، وأوردَ كلمةَ امرأةٍ مفردة ٢٤ مرَّة أيضاً ، قمة المساواة .

ونفهمُ مِنْ حـديثِ : « يـا معشَر النِّسـاءِ ، مـا رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجلِ الحازمِ مِن إحـداكنَّ » . [متفق عليـه] . أنَّـهُ قيلَ يومَ عيـدٍ . فلا يعقـلُ مِنْ رسـول اللهِ صاحبِ الْخُلُق العظيم أنْ ينقِصَ من شأنِ النِّسـاء ، أو يحـطَّ مِنْ كرامتهِنَّ في منـاسبـةٍ بهيجـةٍ ، فليست صيغـةُ الحـديث صيغَـةَ تقريرٍ ، ولا قاعدةً عامَّةً أو حكماً عاماً ، إنَّهـا صيغـةُ تعجُّبٍ مِن التَّناقضِ القائم في ظاهرةِ النِّساءِ الأنصارياتِ ، اللَّواتي فيهنَّ رقةٌ ونعومةٌ ، وعلى الرَّغمِ مِنْ ذلـكَ كلمتهنَّ هي العليـا عنـدَ الرجـال ذوي الحزمِ ، أي كلُّ مـا في الأمرِ التَّعجُّب مِنْ حكمـةِ اللهِ : كيفَ وضـعَ القـوَّةَ حيث مَظَنَّـةُ الضَّعف ، وأخرجَ الضَّعفَ منْ مظنَّـةِ القوَّة .

انحرفَ المسلمـونَ عنْ تعـاليمِ دينهم في معـاملـةِ النِّسـاءِ . وشاعتْ بينهمْ روايـاتٌ ظـالمـةٌ ، وأحـاديثُ إمَّـا موضوعـةٌ ، أو قريبـةٌ مِنَ الوضعِ ، انتهت بـالمرأةِ المسلمـةِ إلى الجهلِ والعـزلـةِ ، حتَّى قـالوا : تخرجُ المرأةُ مرَّةً منْ بيتِ أبيهـا إلى بيتِ زوجِهـا ، ومرةً ثانيةً مِنْ بيتِ زوجها إلى القبرِ .

وَوُجِد مِنَ الآباءِ ـ باسم الدِّين ـ مَنْ يزوِّجُ ابنته بغيرِ رضاها ، بلْ بغيرِ استشارتها واستشفافِ رأيها . وهذا ـ مع الأسفِ ـ موجودٌ في بعضِ الآراءِ المذهبيَّةِ ، ولكنَّ ابنَ تيميةَ وتلميذَهُ ابن القيم رفضا ذلك كلياً .

أحاديثُ موضوعةٌ ، لا صحةَ لها ، مثلُ : شاوروهُنَّ وخالفوهُنَّ ، وسألَ ﷺ ابنتَهُ الزَّهراءَ : أيُّ شيءٍ أصلحُ للمرأةِ ؟ فقالت : ألاّ ترى رجلاً ، ولا يراها رجلٌ ، فقبَّلها ثمَّ قال : ذرِّيَّةٌ بعضُها مِنْ بعضٍ ، حديثٌ واهٍ لا يساوي المدادَ الَّذي كُتِبَ بهِ .

ونُسِبَ إلى عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ قولهُ : المرأةُ شرٌ كلُّها ، وشرُّ ما فيها أنَّهُ لا بدَّ منها ، كلامٌ موضوعٌ ، ومثلُه القولُ المنسوبُ إلى رسولِ الله ﷺ : دفن البناتِ مِنَ المكرماتِ ، حديثٌ موضوعٌ ، وهناكَ مَنْ كَتَبَ عَنْ فائدةِ موتِها وتمنِّيه .

المرأةُ في الإسلامِ (المحصنةُ) ، منارةُ العفَّةِ والفضيلةِ : ﴿ ولهنَّ مثلُ الَّذي عليهنَّ بالمعروفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨/٢] ، وماتَ ﷺ وهَوَ يوصي بها خيراً ، عِلْمٌ إلى أرفعِ درجاتِه ، ما المانعُ

الشَّرعيُّ ؟! عملٌ ، نَعَمْ ، بما يناسبُ أنوثتَها وطبيعةَ تكوينها ، ولقدْ أثبتَتْ نجاحَها في التَّعليمِ ، وفي الطِّبِّ ، وفي الصَّيدلةِ ، وفي العلومِ الإنسانيَّةِ . فإذا اقتنعنا أن لا للجهلَ ، وأن لا للنُّصوصِ الموضوعةِ ، نجدُ أنفسنا أمامَ دينٍ ليسَ فيه حقوقٌ للمرأةِ ، ولا حقوقَ للرَّجل ، إنَّها حقوقٌ للأُسرةِ ، حقوقُ الأبناءِ ، حقوقُ الأُسرةِ المطمئنةِ الآمنةِ السَّعيدةِ .

ولنْ ترفرف هذه الأُسرةُ في أيِّ مجتمعٍ ، ولنْ تحلِّقَ بجناحَيْنِ متباينَيْنِ ، لَنْ تحلِّق عالياً إلاَّ بجناحَيْنِ متكافِئَينِ ، فالمرأةُ نصفُ المجتمعِ ، وترعى نصفه الآخرَ بحكمِ موقِعِها المؤثِّر في زوجها وأولادِها ومحيطها .

ويظهر جليّاً أنَّ الَّذين هاجَموا الرؤيا الإسلاميَّة للأُسرةِ مثقَّفون مِنْ طرفٍ واحدٍ ، لم يطَّلعوا على الإسلامِ كُلاًّ بموضوعيَّةٍ ، وإنِ اطَّلعوا فاطلاعٌ عابرٌ سريعٌ لأَخذِ نقاطٍ مبتورةٍ ترضي ما يرغبونَ ، مستغلِّينَ فتاوى بعضِ العلماءِ وتصريحاتِهم وتصرُّفاتِهم ، الَّذينَ لمْ يمحِّصوا النُّصوصَ ، ولَمْ يوثِّقوا ما قالوا ، يقولُ ڤولتير في مقالتِهِ عن القرآنِ ، الَّتي ظهرَتْ في معجمِ

فلسفتِهِ : « لقد نسبنا إلى القرآنِ كثيراً مِنَ الأَباطيلِ ، ولكنَّـهُ في الحقيقةِ براءٌ منها » .

تحريرُ المرأةِ محقَّق مِنَ النُّصوص الصَّحيحـةِ ، إلاّ إذا أُريـدَ مِنْ تحريرها أَنْ تتحوَّلَ إلى أداةِ متعـةٍ ، حيثُ مفـاتنُ جسـدِها وعُرْيُها همـا الوسيلـةُ إلى بلـوغِ هـذه المتعـةِ ، فكأَنَّ تحريرَ المرأة حريَّةُ العلاقاتِ الجنسيَّـةِ ، ومِن إحصـائيـةٍ نشرتْ عـام ١٩٨٥[1] أقتطفُ التَّالي :

ـ ١٢ مليون طفل بلا أب ـ غير شرعيين ـ في أمريكا في عامٍ واحدٍ .

ـ ٢٥٠ مليوناً يصـابون بـالسَّيَلانِ ـ مرض جنسي معروف ـ سنوياً في العام .

ـ ٧٥٪ من الأَزواجِ يخونون زوجاتِهم في أُوربة .

ـ حالةُ طلاقٍ بَيْنَ كلِّ حالَتْي زواجٍ في بريطانية .

ـ وشاع نكاح المحارم عِنـدهُمْ ، ٤٠ مليون نسمـة عـام ٢٠٠٠

(١) رسالة الجامعـة ، العـدد ٢٨٧ ، السبت ٢٨ سيتمبر (أيلول) ١٩٨٥ ، السنة ١١ ، ص١٣ .

مصابون بالإيدز ، وَ : ٢٥٠٠ مليونَ دولارٍ سنوياً لمحاربةِ الإيدز ، وقد ينجحون وقد لا ينجحون في محاربته .

ـ أمَّا الشذوذُ ، فحدِّث ولا حرجَ ، نشرت مجلة الوحدة الإسلاميَّة العدد ٩١ ، أيلول ١٩٨٧ صورة فيها القس دوسيه[(١)] يعقد قران شابين فرنسيين تزوجا حديثاً !

كتبت مارلين مونرو بخط يدها قبل انتحارها رسالةً إلى فتاةٍ تريد العملَ في السِّينما : « احذري المجدَ ، احذري كلَّ من يخدعُكِ بالأضواء ، إنِّي أتعسُ امرأةٍ على هذهِ الأرضِ ، لم أستطعْ أنْ أكونَ أمّاً ، إنَي امرأةٌ أُفضِّلُ البيتَ ، الحياةَ العائليَّةَ الشّريفةَ على كلِّ شيء ، إنَّ سعادةَ المرأةِ الحقيقيةِ في الحياةِ العائليَّةِ الشَّريفةِ الطَّاهرةِ ، بل إنَّ هذه الحياةَ العائليَّةَ لهيَ رمزُ سعادَة المرأةِ ، بل الإنسانيَّةُ .

لقد ظلمني كلُّ النَّاسِ .. وإنَّ العملَ في السِّينما يجعلُ مِن

(١) الذي يرأس مركز الكهنة الحر ، والذي يضم ١٧٠٠ كاهن منظّم من الشّاذين .

المرأةِ سلعــةً رخيصــةً تــافهــةً مهما نــالت من المجــدِ والشُّهرةِ الزَّائفةِ »[1] .

أيُّها الإخوةُ : ربُّوا المرأةَ على الفضيلةِ ، وعلِّموها حتى تنالَ أرقى درجاتِ العلمِ ، ثمَّ دعوها تخرجُ لهدفٍ سامٍ ، وعملٍ منتجٍ ، فطهرها ، وعفافها ، وعلمها ورسـالتُها كافيـةٌ لتحصينها منْ أنْ تكونَ سلعةً في المجتمع .

وإن تحدَّثتم عن تحريرِها ، تحدَّثوا عنْ تحريرِ الرَّجل مَعَها ، ولا تجعلوا التَّحرير كشفَ مفاتِنَ ، والعملَ (سكرتيرة) وراءَ آلةٍ كاتبةٍ ، فهذا أوصلَ الأسرةَ الغربيَّـة إلى شقـاءٍ ، وأوصل المجتمع إلى تفكُّكٍ لبنته الأُولى ، واجعلوا التحرُّر مرتبطـاً بـالعقل والفكر ، لا بالجسد والمفاتن ، فإن تحرَّر العقل ، سَتُشْبَعُ حـاجـاتُ الجسدِ الفطريَّـةُ مِنْ خلالِ قنواتٍ منظَّمـةٍ سليمـةٍ ، لا تترك إلاَّ الآثـارَ الطَّيبةَ في المجتمعِ السَّليمِ المعافى .

المرأةُ نصفُ المجتمع ، وإحدى رئتيه ، فلا يُقبل شرعـاً وعقلاً تعطيل إحدى رئتيه .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ، ص : ٣ .

وانطلاقتها في الحياة لا شك فيها ، ولكنْ دونَ مجالٍ لاستغلالِ أنوثتها بما يرهقُها ويؤدِّي إلى شقائها ، رجاء ألاَّ تقع فيما وقعت فيه أختها في الغرب ، بما ضجَّ منه عقلاءُ القومِ ومفكروهم الأحرار .

« قضيةُ المرأةِ هي قضيةُ كلِّ أبٍ ، وكلِّ ابن ، وما دام في الدُّنيا آباءٌ وأبناءٌ ، ففي الدُّنيا احترامٌ عميق لكرامةِ النِّساءِ ، والَّذينَ لا يفرِّقونَ بينَ الكرامةِ والابتزاز ، هم غارقونَ في الأوهامِ والأوحالِ »[1] .

فإن قيلَ : تحريرُ المرأةِ ، قلنا ممَّن ؟ وحرِّيَّتُها في ماذا ؟ فإن كان تحريرُها من الجهلِ والخرافاتِ والأُميَّةِ قلنا نعم ، وإن كان تحريرُها إعطاءَها دورَها الفاعلِ في بناءِ الأسرة وبالتالي المجتمعِ الفاضلِ ، قلنا نعم . وإن كانت حريتُها في التخلص من شوائب ليست من الدين في شيء ، قلنا نعم .

إما إذا قالوا تحريرُ المرأة ، وعَنَوا خروجها من حشمتها ،

---

(١) المرآة بين الفقه والقانون ، ص : ٣ .

قلنا لا ، فآثارُ خروجها من حشتها في المجتمع الغربي آثارٌ قاتلة .

أيها الإخوة : العالَمُ يُفتشُ عن طمأنينةٍ روحيةٍ ، وراحةٍ نفسيَّة ، بعد أن أبعدته المادةُ عن إنسانيته ، وأضلَّه الطمعُ والجشعُ ، وأَراه يتلمَّسُ طريقاً ، ولن يجد ضالتَه المنشودة إلا بالإسلام ، وسيتحقَّقُ مضمونُ الآيةِ الكريمةِ من سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدينِ الْحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الَّدينِ كُلِّهِ وكَفى بِاللهِ شهِيداً ﴾ .

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً

مُلْحَقٌ

وأُضيف هـذا الملحق لتوضيح بعض الأُمـور المتعلِّقـة بمكانـة المرأة في الإسلام ، وهي :

١ ـ القوامة .

٢ ـ الميراث .

٣ ـ الشهادة .

٤ ـ النُّشوز .

٥ ـ الحجاب .

٦ ـ عمل المرأة .

٧ ـ التّعدُّد .

٨ ـ كيف نعامل الأهل ؟

٩ ـ الْمُجَادلة .

١٠ ـ يهمنا المضمون .

☆ ☆ ☆

- ١ -

القِوَامة :

أحد الأساتذة الكبار ـ رحمه الله ـ كانت له عبارات مختصرة دقيقة في إجاباته ، سُئِل مرَّة : ما الحرب ؟ فأجاب : فشل السِّياسة . وسُئِل مرَّة أُخرى : لماذا أباح الإسلام الرَّقيق ؟ فأجاب : معاملة بالمِثْل ، وهكذا :

ومن هذا القبيل : ما القِوَامة ؟ والجواب : مسؤوليَّة .

أو : إدارة أسرة يرفرف عليها جناحان : المودَّة والرَّحمة . مع إعفاء المرأة وإراحتها من الأعباء الماليَّة ، فحقوق الأبناء والزَّوجة في ذِمَّة الرَّجل .

جاء في اللِّسان (قوم) : ﴿ الرِّجالُ قَوَّامونَ على النِّساءِ ﴾ [النساء : ٣٤/٤] ، الرِّجال متكلِّفون بأُمور النِّساء ، معنيُّون بشؤونهن .

ومن الدَّلائل الفطريَّة الطَّبيعيَّة لقوامة الرَّجل ، شعور المرأة بالحرمان والنَّقص والقلق ، وفقدان السَّعادة حينما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة ، وتنقصه صفاتها اللاَّزمة .

فالقوامة وظيفة داخل كيان الأُسرة ، ووجود القَيِّم في مؤسَّسة ما لا يُلْغي وجود حقوق الشُّركاء فيها ، وحدَّد الإسلام صفة قوامة الرَّجل وما يصاحبها من لطف ورعاية وحماية ، مع حقِّ المرأة في اختيار زوجها ، فهي بذلك تختار القيِّم ، ولها أن تلاحظ فيه المقدرة على القوامة الرَّشيدة .

القوامة ... إدارة ... وفي كل الأَحوال بالمودَّة والرَّحمة .

- ٢ -

الميراث :

الأنثى في الإسلام معفاة من التّكاليف المالية قبل الزّواج وبعده ، لذلك هي أوفر حظّاً في الميراث من الرّجل ، فلئن تأخذ الأُنثى خمسة وتدّخرها ، خير من أن يأخذ الرّجل عشرة لينفق منها ، أو ينفقها كلّها .

هذا في الإرث من الأب ، فإن تزوّجت الأُنثى أخذت مهراً أضافته إلى ما ورثت ، وإن تزوّج الذّكر دفع مما ورث .

وفي صور أُخرى ترث بقدر الرَّجل أو أكثر .

إذا ترك الميّت أولاداً وأباً وأُمّاً ، ورث كلٌّ من أبويه سُدُسَ التّركة دون تفريق بين ذكورة الأب ، وأُنوثة الأُم .

وإذا ترك الميّت أخاً لأُمّه ، وأُختا لأُمّه ، ولم يكن ثمّة من

يحجبها من الميراث ، فإنَّ كلاً من الأَخ والأُخت يرث السُّدُس ، دون تفريق بين الذّكر والأنثى .

وإذا تركت المرأَةُ المتوفّاة زوجها وابنَتها ، فإن ابنتها ترث النّصف ، ويرث والدها الّذي هو زوج المتوفّاة الرُّبع ، أي إنَّ الأُنثى هنا ترث ضعف ما يرثه الذكّر .

- ٣ -

الشَّهادَةُ :

شهـادة المرأة بنصف شهـادة الرَّجـل ، صحيـح .. ولكن لا علاقة لذلك بالإنسانيَّة ، أو الكذب ، أو عدم الأمانة ..

شهادة المرأة في المعاملات الماليَّة نادرة .

أمَّا شهـادتها في جرائم القَتْـل ، فهي إمـا تهرب أو تغمض عينيها ، أو يغمى عليها .

وأمَّا في الأمور النِّسائيَّة فشهادتها كاملة .

وكذلك دية المرأة :

القَتْلُ العمـد يوجب القصـاص من القـاتل ، أمَّـا في القتل الخطـأ ، خسـارة الرَّجـل خسـارة معيـل ، فهي أكبر ، وليس الموضوع تقـديراً لقيمـة الإنسـانيَّـة في القتيل ، بـل تقـديرٌ لقيمـة الخسارة المادِّيـة الَّتي لحقت بـالأُسرة بفَقْـدِه ، والقوانين اليوم لهـا حدٌّ أعلى ، وحدٌّ أدنى .

- ٤ -

النُّشُوز :

النَّشْزُ في اللُّغة : المرتفع من الأَرض ، جاء في (اللِّسـان) : نشزت المرأَة : ارتفعت عليه ـ على زوجهـا ـ واستعصت عليـه ، وأبغضته وخرجت عن طاعته ، فالنُّشوز : سوء العشرة .

والنُّشوز حالة شاذّة عند عدد من النِّساء السَّاديَّات .

ومـع ذلـك .. بمـا يخصُّ المرأَة الشّـاذة المتمرِّدة النّـاشز ، غير الطَّبيعيَّة ، وضع الإسلام أساليب للتغلُّب على الخلافات الَّتي قـد تنشب بين الزَّوج وزوجته ، ووضع أَساليب للتَّغلُّب عليهـا قبل الوصول إلى السِّلاح البتَّار القاسي : ﴿ واللأَّتي تَخـافُون نُشُوزَهُنَّ فَعِظُـوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَـاجِـعِ وَاضْرِبُـوهُنَّ فـإِنْ أَطعنَكُم فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيّاً كَبِيراً ، وَإِن خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهِما فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها إنْ يُرِيـدا إِصلاحـاً

يُـوَفِّـقِ اللهُ بَيْنَهمَـــا إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمـــاً خَبِيراً ﴾ [النســـاء : ٣٤/٤ ـ ٣٥] .

فالوعظ : علاج رقيق هادئ لإزالة الجفوة .

ثمَّ الهجر : في البيت ، وهو سلاح يجمع بين اللِّين والشِّـدة ، وفيه يُسْر وفيه زجر .

ثمَّ الضَّرب للنَّاشز إن سمحت الظُّروف به ، قبل اللُّجوء إلى الحكَمَيْن ، حيث انكشـاف أسرار الـزَّوجَيْن ، وتعريض حيـاتهما لألسن النَّاس .

والضَّرب لا يستعمـل مـع امرأة تفضِّـل التَّحكيم عليـه ، أو تفضِّل الطَّلاق عليـه ، مع أنَّـه أبغض الحلال إلى الله ، لأن عقـد الـزَّواج في كتـاب الله : ﴿ وَأَخَـذْنَ مِنْكُم مِيثَـاقـاً غَلِيظـاً ﴾ [النساء : ٢١/٤] ، أي عهداً وثيقاً مؤكَّداً .

والطَّلاق دواء مرٌّ المذاق ، ولكن مرض الشِّقـاق أكثر مرارة وقسوة. يسَّرتـه كلُّ دول العـالم اليوم ، لأنَّ احتمال وقوع الخـلاف وارد ، فالرَّجل يطلِّق في حـال تعـذُّر استمرار الحيـاة الزوجيَّـة ،

والمرأة لها الحق في المطالبة بالتَّفريق إذا وجدت ضرورة تدعو إلى ذلك ، وفي بعض المذاهب لها الحقُّ في اشتراط أن تكون العصمة بيدها .

فالإسلام فيه مساواة ، والتَّأديب للنَّاشز امرأة كانت أمْ رجلاً ، مرحلة أخيرة لكلا الطَّرفين ، بقطع النَّظر عن الجهة المكلَّفة بإنزال العقاب ، فالقاضي يوقع العقاب المناسب على الرَّجل ، بما هو أشد مما يقع على المرأة .

والزَّوجة المسلمة ، في الدَّار المسلمة ، مع الزّوج المسلم ، لا يوصلها إسلامها وإسلامه إلى النُّشوز ، فرسول الله ﷺ ما ضرب امرأة قط ، حتّى ولا جارية صغيرة ، لم يضربها بسواك على الرَّغم من وجود الذّنب ، فالزوجة المسلمة إن أخطأت استغفرت في مرحلة الحوار والتّناصح والهجران .

ويبقى منطلق الإسلام : « ما أكرم النِّساء إلاَّ كريم ، ولا أهانهنَّ إلاَّ لئيم » .

- ٥ -

الحِجَاب :

وما الحجاب ؟

سَتْرٌ لمفاتن المرأة .

قالت بلسم عبد الملك في (الهلال ، تشرين الثّاني ١٩٢٤م ، ص١٤٦) :

« يقولون : إنّ الحجاب في بعض الأَقطار الشّرقيّة قد أَلزم المرأة شيئاً من الجمود ، وضرب بينها وبين العِلْم والنُّور حجاباً كثيفاً مظلماً ، وينسبون إليه تأخُّرَها عن شقيقتها الغربيّة ، على أننا لا نكاد نفقة معنى هذه النّظرية السّخيفة ، ولا نكاد نعلم من أمر الحجاب أكثر من أنّه نطاق قد ضُرِبَ حول وجه المرأة وجسدها ، وليس له أدنى اتّصالٍ بعقلها وذهنها . ولا أيّ تأثير على قواها المفكّرة ، ومواهبها الغريزيّة » .

والَّـذين دعـوا إلى حرِّيَّـة المرأة وعنَـوًّا تفلُّتهـا وإظهـار مفـاتنهـا ، جعلوا المرأة في غير المكان اللاَّئق والمنـاسب لهـا ، مع انتهاك لكرامتها وإنسانيتهـا ، فتعريتهـا لا من أجل حريتهـا ، بل لتحقيق لذائذ الرَّجل ! .

- ٦ -

عَمَلُ المرأة :

تُعَدُّ تربية الأَطفال أَهم عمل في العالم ، وهذا العمل تقوم بـه المرأة ، فالأَطفال رجال المستقبل في كلِّ ميـدان ، ومنهم النِّسـاء المربيات أيضاً في الأجيال القادمة .

ومع ذلك عمل المرأة لا ضير ولا غبار عليه إن هي اضطرت إليه ، وأَمثلة عملها في صدر الإسلام كثيرة :

الشِّفَّاء بنت عبـد الله القرشيَّـة العـدويَّـة ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدِّمها في الرَّأي ، ويرضاهـا للحسبـة في السُّوق .

أَسماء بنت مخربـة ، ابنهـا عبَّـاس بن عبـد الله بن ربيعـة ، كان يرسل إليهـا العطر من اليمن ، وكانت تبيعـه في المـدينـة في قوارير .

وحولاء بنت ثويب كانت عطّارة في سوق المدينة ، وكذلك مليكة والدة السّائب بن الأقرع .

وزينب بنت جحش ـ أمّ المؤمنين ـ كانت من العاملات المجدّات ، تدبغ وتخرز ـ تخيط الجلد ـ وتبيع وتتصدّق .

وقَيْلة الأنمارِيّة كانت تاجرة تبيع وتشتري مع كلّ النّاس .. إلخ ، [انظر : أُسْد الغابة ، الجزء السّابع للتعرُّف على ترجمات من ذكرنا وغيرهن كثيرات] .

عمل المرأة مسموح به عند الحاجة ، ولكن بحدود حشمتها ، وما تطيقه ؛ أي بما يتناسب مع طبيعة أُنوثتها .

- ٧ -

التعَدُّد :

التعدُّد مباح لا مفروض ، وشتّان ما بينهما :

الإباحة للضرورة وحين الحاجة .

والفرض إلزام ، وهو ما لا ينصُّ عليه الإسلام .

والتعـدُّد في المجتمع الغربي غير محـدَّد اليـوم ، في خليلات لا يحصرهن رقم ، وأباحت الكنيسة تعدُّد الزُّوجات في إفريقيـة ، كما ذكرت إذاعـة لنـدن السـاعـة ٧,١٥ بتوقيت دمشق ، بتـاريخ ١٩٨٨/٨/٤ م .

الـزَّوجـة الـواحـدة أمر عليــه أكثر من ٩٨٪ من المسلمين ، وهنالك عوامل مقبولة ، تدفع بعضهم إلى الزوجة الثانيـة ، ومن عدد بلا سبب وسلوكه غير إسلامي ، لا يحسب على الإسلام .

- ٨ -

كيفَ نُعامِلُ الأهل ؟ :

من الخطأ الفادح أنْ يَفْسُدَ الجوُّ العائلي بسبب ما يفعله بعض الأزواج ، حيث يحتد ويشتد على زوجه نقداً ولوماً في أمرٍ هيِّن يسير ، إذ يطلب منها أن تقدِّم ما أخَّرته ، أو تؤخِّر ما قدَّمته من الأعمال المنزليَّة .

وقد يزداد سوء التَّفاهم ، وتشتد المغاضبة لأُمور بسيطة تافهة ، بسبب إلحاح أحد الزوجين في التدخل في شؤون يسيرة ، تدخُّلاً مشحوناً بالغضب والصَّخب .

ويضرب رسول ﷺ المثل لنا في مراعاة فطرة المرأة وما جُبلَت عليه من الميل إلى التَّرويح عن النَّفس ، فيسمح للسيدة عائشة رضي الله عنها أن تنظر للأحباش يلعبون بالحِرَاب في مسجده الشريف ، ولقد قرَّر العلماء استناداً لهذا الحديث أنه

يشرع للزَّوج إتاحة الفرصة لزوجه كي تنعم بما يخفّف عنها أعباء الحياة وضيقها .

يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ [البقرة : ٨٣/٢] . لذلك جاء الإسلام والنَّاس يقولون : النَّاس سواسية كأسنان الحمار ، تعبيراً عن المساواة الدّقيقة ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « النَّاس سواسية كأسنان المشط » ، روعة في التعبير مع الاحتفاظ بالمضمون .

الكلمة الطيبة تعزيز إيجابي ساحر ، والكلمة النَّابية إن كانت صحيحة تعلّم الأولاد عدم احترام الأم ، وإن كانت غير صحيحة ، تسبب عدم احترام الأب ، وعدم الثقة به وبكلامه .

والزوجة ليست آلة حديدية ، راحة الزوج أولاً وراحتها تحصيل حاصل .

وفي سورة طه قال تعالى مخاطباً نبيّاً من أُولي العزم : ﴿ اذهبْ أنتَ وأخوكَ بآياتي ولا تَنيا في ذكري ، اذهبا إلى فرعون إنَّه طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لعلَّهُ يتذكَّرُ أو يخشى ﴾

[طه : ٤٢/٢٠ ـ ٤٤] ، فإذا كان الموقف مع فرعون وقد طغى ﴿ فقولا له قولاً ليّناً ﴾ ، فكيف مع الزوجة التي أوصانا بها الله ﴿ وَعَاشِروهُنَّ بِالمعروف ﴾ [النساء : ١٩/٤] ؟

- ٩ -

الْمُجَادِلَة :

في القرآن الكريم سورة اسمها (الْمجادِلة) رقمها (٥٨) ، فمن الْمُجَادِلة ؟

إنَّها خولة بنت ثعلبة ، زوجة أوس بن الصَّامت ، قالت : فيَّ واللهِ وفي أوس بن الصَّامت أنزل الله عز وجل صدر سورة (المجادلة) . قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضَجِر ، قالت : فدخل عليَّ يوماً فراجعته في شيء فغضب ، وقال : أنتِ عليَّ كظهر أُمّي ، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعةً ، ثمَّ دخل عليَّ فإذا هو يريدني على نفسي . قالت : فقلت : كلا ، والذي نفس خولة بيده لا تخلَص إليَّ ، وقد قلتَ ما قلت حتَّى يحكمَ اللهُ ورسولُه فينا ، قالت : فواثبني وامتنعت عنه ، فغلبتُه بما تغلب به المرأةُ الشيخَ الضعيف .

فألقيته عني ، ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيتُ منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه ، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خويلة ، ابن عمك شيخ كبير ، فاتّقي الله فيه ، قالت : فواللهِ ما بَرِحت حتى نزل فيَّ القرآن ، فتغشّى رسول الله ﷺ ما كان يتغشّاهُ ، ثمَّ سُرِّي عنه فقال : يا خويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ، ثمَّ قرأ عليَّ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلُكَ في زَوْجِها وتَشْتكي إلى الله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَللكافرينَ عَذابٌ أليم ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : مُريه فليعتق رقبة ، قالت : والله ما عنده ما يعتق ! قال : فَلْيَصُم شهرَيْن متتابعين ، قالت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام ، قال : فليطعم ستّين مسكيناً وسْقاً من تمر (الوسق : ستون صاعاً) ، قالت : يا رسول الله ، ما ذاك عنده ! فقال ﷺ : فإنّا سنعينه بعَرَق من تمر (العَرَق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص) ، قالت : وأنا أُعينه بعَرَق أيضاً .

فقال ﷺ : فقد أصبتِ وأحسنتِ ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثمَّ استوصي بابن عمك خيراً ، قالت : ففعلتُ .

خرج عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه ومعـه النَّـاس ، فمرَّ بعجوز ، فجعل يحدِّثها وتحدِّثه ، فقـال رجل : يـا أمير المؤمنين ، حبستَ النَّـاس على هـذه العجـوز ؟! قـال عمر رضي الله عنـه : ويلك ! تدري من هـذه ؟ هي امرأة سمع الله شكواهـا من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيهـا : ﴿ قـد سَمِعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلكَ في زَوْجِهـا وَتَشْتَكي إلى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تحـاوُرَكُما إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ... ﴾ ، واللهِ لـو أنَّهـا وَقَفَتْ إلى الليل ما فارقتُها إلاَّ للصَّلاة ، ثمَّ أرجع .

- ١٠ -

يَهُمُّنا المضمونُ :

إنَّنا نقدّم للبشريَّة تصوُّراً للحياة ، ومن هذا التَّصوُّر صورة فيه المرأة محصّنة عفيفة طاهرة ، والزوج كذلك محصّن عفيف طاهر ، وتقدّم الحضارة الغربيَّة صورة أُخرى ..

وأبسط ما نقول : ما يدعوننا إليه ، ماذا حقَّق عندهم ؟ وما ندعوهم إليه ماذا حقَّق عندنا ؟

ما ندعوهم إليه حقَّق عندنا سلامة الأسرة ، وبالتالي سلامة المجتمع ، وكل خلل نراه في مجتمعنا مصدره ما صُدِّر إلينا من عندهم ، وما يدعوننا إليه ماذا حقَّق عندهم ، خصوصاً في مجال تحرُّر المرأة ؟ تفلُّت المجتمع ، و (معيشة ضنكاً) على الرغم من التَّقدُّم العلمي الذي نراه عندهم ، والواقع يقول : إنّ التقدُّم العلمي ، والرُّقي الحضاري الإنساني الاجتماعي شيء آخر ، و (الرَّقيق الأبيض) المنتشر اليوم خير دليل ، إنَّه الاتِّجار بأجساد النساء دون احترام الأنوثة .

وأخيراً ..

المرأة في الإسلام ليست مسؤولة عن الخطيئة الأولى ، وفي كتاب الله المجيد : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ﴾ [الأحزاب : ٣٥/٣٣] ، الذَّنب ذنب آدم وحده ، وهذا بخلاف ما تدّعيه عقائد أخرى حُرِّفت ، بجعل الذنب ذنب حواء .

والمسلم المتفهّم لتعاليمه ، يحاذر من اجتهادات من يرى المرأة :

إنَّ النساءَ شياطينٌ خُلِقْنَ لنا   نعوذُ باللهِ من شَرِّ الشَّياطينِ

ويعتمد رأي من يرى المرأة :

إنَّ النساءَ رياحينٌ خُلِقْنَ لَنَا   وَكلّنا يشتهي شَمَّ الرَّياحينِ

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

☆ ☆ ☆

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

حوار DIALOG

٢٠٠٥

عالم بلا عنف

NON-VIOLANCE WORLD

أسست عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ).

رسالتها:

- تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
- كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
- تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
- مد الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
- احترام حقوق الملكية الفكرية، والدعوة إلى احترامها.

• **منهاجها:**

- تنطلق من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبني فوقها دون أن تقف عندها، وتطوف حولها.
- تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعلم، والحاجة، والمستقبل، وتنبذ التقليد والتكرار وما فات أوانه.
- تعتني بثقافة الكبار، وترنو لتأهيل الصغار لبناء مجتمع قارئ.
- تخضع جميع أعمالها لتنقيح علمي وتربوي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
- تعدّ خططها وبرامجها للنشر، وتعلن عنها: شهرياً، وفصلياً، وسنوياً، ولآماد أطول.
- تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير، والأبحاث، والترجمة.

• **خدماتها ونشاطاتها:**

- نادي القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي)
- تمنح سنوياً جوائزها للإبداع والنقد الأدبي، وتكرم مؤلفيها وقراءها.
- ريادة في مجال النشر الألكتروني
- أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربي على الإنترنت: **www.fikr.com**
- تسهم بفعالية في موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية: **www.furat.com**
- موقع تفاعلي رائد للأطفال: عالم زمزم: **www.zamzamworld.com**
- إشراف مباشر على مواقع:

  الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: **www.bouti.com**

  الدكتور وهبة الزحيلي: **www.zuhayli.com**

  اللجنة العربية لحماية الملكية الفكرية: **www.arabpip.com**

• **حازت على جائزة أفضل ناشر عربي للعام ٢٠٠٢، من الهيئة المصرية العامة للكتاب.**

• منشوراتها: تجاوزت حتى عام ٢٠٠٤ (١٨٥٠) عنواناً، تغطي سائر فروع المعرفة.

دار الفكر

طباعة توزيع نشر

دمشق - سورية - ص.ب: ٩٦٢

هاتف: ٢٢١١١٦٦ - فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

e-mail: fikr@fikr.com - http://www.fikr.com

LIBERATING WOMEN
FROM WHOM ? &WHY?
Taḥrīr al-Mar'ah Mimman wa- fī-ma Ḥurrīyatuhā?
Dr. Shawqi Abū Khalīl

أوصى خطيبٌ في حفل قران العريس بقوله: اعلم أنك تزوجت امرأة، ورسول الله ﷺ يقول: «ناقصات عقل ودين»، أما وأنه قد صار لك زوجة اعتباراً من اليوم، فاحفظ -لتطبّق- حديث رسول الله ﷺ: شاوروهن وخالفوهن.

وبعد سماع الخطبة، والموازنة مع خطب غيرها تناولت الموضوع ذاته، تساءلت: متى سينتصر الجدُّ وينهزم الهزل؟! فالذي يقف أمام مئات المدعوين مسؤول أمام الله عن هذه الدقائق التي تنتزع من وقت الحضور، والتي يتحدث خلالها بمنهج قد ينفّر المستمعين من الإسلام وتعاليمه، وإما أن يقرّبهم منه ومن تعاليمه لجودة مايطرح بمنطق وتحليل سليمين.

وبسبب هذه الخطبة المزعجة عُدْتُ إلى محاضرة ألقيتها في إحدى الجامعات العربية، بعنوان: (تحرير المرأة ممّن؟ وفيمَ حريّتها؟)، لإعادة النظر بها وتقديمها للقارئ من جديد، وأنا لا أدّعي أنني قد قدمت رأي الإسلام كاملاً، لقد قدّمت رأيي كما فهمته من الإسلام، ولكن أرجو الله تعالى أن يكون فهمي قريباً -إلى حد مقبول- من الإسلام وأهدافه وحقائقه ومراميه.

فرات
WWW.FURAT.COM
موقع عربي رائد لتجارة الكتب والبرامج العربية

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-451-4
9 781575 474519

SROUR ALWANI 2000